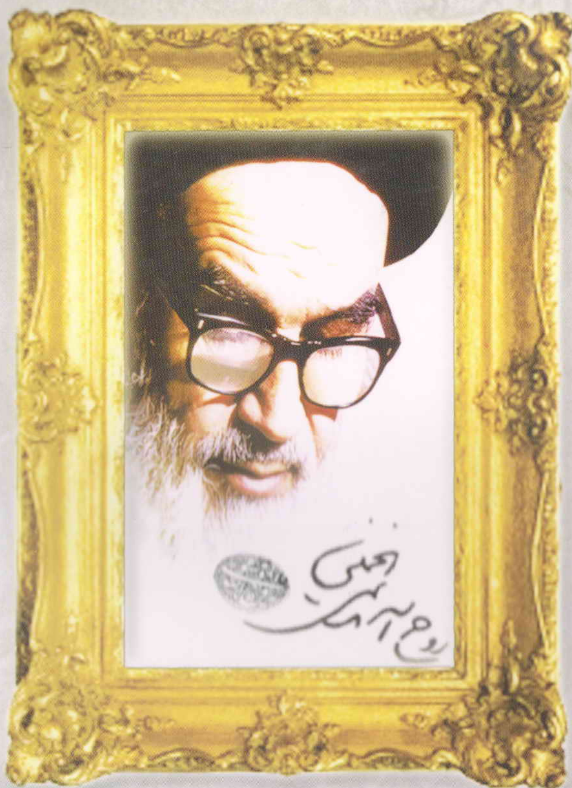


شذرات

الإمام الخميني (قدس)

على لسان تلامذته :

آية الله جوادي الآملي

آية الله عميد زنجاني

المحقق الشيخ علي دواني (ره)

دار الولاية للثقافة والإعلام

شذرات

الإمام الخميني قدس سره

على لسان تلامذته

إعداد ونشر

دار الولاية للثقافة والإعلام



هوية الكتاب

اسم الكتاب:.........شذرات الإمام الخميني قدس سره على لسان تلامذته

إعداد ونشر: .... دار الولاية للثقافة والإعلام

الطبعة:.. الأولى ١٤٢٩هـ. ق

جميع الحقوق محفوظة



الإمام الخميني قدس سره في كلام الإمام الخامنئي قدس سره

كان الإمام كالضوء المنير الذي ينير من حوله، فنجد حتى أعداءه يعترفون بزهده واستقامته وصدقه وإعراضه عن الدنيا وماديانها.

فكل ميزة يتميز بها الإمام الخميني يمكن أن تجعل ممن يتحلي بها إنساناً عظيماً ومميزاً، ومن أهم ميزات وصفات الإمام: الإرادة والحزم والعلم والشجاعة والصدق والصراحة والتقوى والورع، فكل واحدة من هذه الصفات إذا امتاز واتصف بها أي إنسان عادي تكفي لأن تجعل منه شخصاً عظيماً بارزاً.

فالإمام كان خالصاً لله تعالى ولا يعمل إلا في سبيل الله. وكان إخلاصه بدرجة أنه إذا اجتمع العالم كله وطلب منه ما لا يرضي الله تعالى لم يكن ينجزه أو يقدم عليه.

خصائص الإمام ومقومات الاستمرار

آية الله الشيخ عبد الله الجوادي الآملي

الحديث عن الشخصيات التي بلغت مدارج رفيعة من الكمال الإنساني شاق للغاية، ولكن الإشعاع الإنساني لمثل هذه الشخصيات يتسع لمديات بعيدة يمكن للخطباء والأدباء الجولان في رحابها الرحب.

وبالرغم من أن تمجيد شخصية الإمام رضوان الله عليه واجب على كل السالكين في دروب الكمال، إلاّ أن الأهم من ذلك بكثير في الحاضر والمستقبل هو بيان واجبات الأمة الإسلامية وتحديد الأصول والمحاور في خط الإمام الراحل وشرح خصائص ومقومات من يريد الاستمرار في نهجه وخطه.

ومن هنا يتوجب التفكيك (وكما سيأتي تفصيله لاحقاً) بين (البقاء على تقليده) وبين (إدامة نهجه).

إن اصطلاح (خط الإمام) أو (إدامة نهج الإمام) أو (الاستمرار في طريقه) والى آخره من المصطلحات الجذابة تستدعي التحليل العميق وعندها سوف تظهر كثير من الحقائق الكبرى في هذا الطريق، بحيث يتضاءل عدد من يسمح لنفسه الادعاء إنه على خط الإمام.

كان للإمام الراحل مسؤولية هي المرجعية (مقام الإفتاء) حيث سطرت عصارة فتاواه في رسائل عملية بالفارسية والعربية، وتشتمل على كليات المسائل التي تطرّق إليها الفقهاء.

الفاصلة بين الإمام وبين الفقهاء الآخرين ليست كبيرة، كما أن درك المعاني الكلية ليس شاقاً ولذا فإن البقاء على تقليده بعد رحيله رضوان الله عليه لن

يكون صعباً. وأصولاً فإن البقاء على تقليد المرجع المتوفى أمر سهل ذلك أن مرجع التقليد كان قد بين كليات الفتاوى، وهذه الفتاوى حيّة ومستمرة أما إدامة خط الإمام الراحل هو إدامة لطريق (القائد) و(الولي).

فالولي والقائد يتعامل مع القرار يومياً.. إنه يتخذ قراراته يومياً فمرّة يرتشف رحيق النصر ومرّة يتجرّع سمّ الموافقة على قبول(قرار).[1]

والآن لننظر من يستطيع القول: (أنا على خط الإمام) وما هو معنى إتباع خطه؟ (التابع للإمام) هو من تكون له رؤية كرؤية الإمام رضوان الله عليه، بحيث يدرك اليوم الذي يتوجب عليه أن يتجرّع السم بالرغم من كل مرارته ولا يتردد في ذلك لحظة واحدة.

ولو أدرك أن الوقت حان لارتشاف رحيق النصر فإنه يفعل ذلك شاكراً لنعمة الله متواضعاً له. لا تباهياً بذلك النصر مهما جلّ شأنه.

(البقاء على الولاء) معناه الاحتفاظ بعلاقة روحية مع الولي.

ومسألة إدراك الإنسان للوقت المناسب للصراخ أو التزام الصمت وارتشاف الرحيق وتجرّع السم أمر ليس ميسوراً.

وما نراه اليوم من اختلاف في السبل، فإن سّره يكمن في تشخيص الواجب في الخطوط الجزئية، ومن هنا ينجم الاختلاف بين السالكين في دروب الإمامة لأن تشخيص الواجب ليس ميسوراً.

---

(١) إشارة إلى خطاب الإمام الراحل عشية الموافقة على قبول قرار وقف اطلاق النار في الحرب العراقية الإيرانية (٥٩٨).

وما نراه في بعض الأحيان من اختلاف في الذوق، ذلك لأن تجرّع السم أمر صعب. من الممكن أن يكون ارتشاف الرحيق عذب أما تجرّع مرارة السم فأمر صعب جداً. فناهيك عن الاختلاف في التشخيص، فإن مسألة القبول بعد التشخيص فيها اختلاف أيضاً.

وهنا يتضح أن البقاء على تقليد ميت مثل الإمام الراحل أمر ميسور، ولكن البقاء على (ولاية ولاء) الإمام أمر شاق. لأنه أمر جزئي تفصيلي وليس أمراً كلّياً وأمر يومي وليس أمراً سنوياً.

واستحقاقات ذلك تتطلب تجرّع المرارة، وارتشاف الشهد، وقبول قرار مؤلم وسماع خبر مزلزل كفتح (خرمشهر).

ومن هنا ينبغي ألاّ يسمح أحد لنفسه بالادعاء بأنه سائر على خط الإمام، إلا إذا شعر بأن ولاء ذلك الراحل يملك عليه وجوده.

وهذا لا يكون إلا إذا روّض نفسه على تجرّع المرارات وتحمل المعاناة.. حتى إذا قيل له: هذا أوان اجتراع السم القاتل هذا زمان قبول القرار(٥٩٨) فإنه لا يتردد في ذلك لحظة واحدة وإنما يقدم محتسباً صابراً.

وحتى لو زفّت إليه بشرى كبرى في دويّ فتح خرمشهر، فإنه يتلقي ذلك الخبر العظيم الذي يهزّ النفوس طرباً بالشكر لله سبحانه.. في مثل هذه الظروف يمكن للإنسان أن يدّعي متابعة خط الإمام.

وعلى هذا فإن إمكانية تحقق ذلك ضئيلة للغاية.

والآن لننظر من يكون الإمام الرجل ومن هو؟

ربما تصنع المصادفات تاريخاً مثل انفجار بركاني يصب حممه على مناطق خضراء فيحيلها الى أكوام من رماد، وتستحيل أكواخ القرى الى خواء. وربما تهاجم سيول مدمّرة مناطق زراعية واسعة لتحيلها الى وادي غير ذي زرع.. هذا تاريخ تصادفي.

إذا أراد الإنسان أن يغير التاريخ. فيجب أن تتجلي في أعماقه رؤية إلهية بحيث يكون تشخيص أياً منها (أدقّ من الشعر وأحدّ من السيف).[1]

وقد جاء في الأثر أن الصراط المستقيم أدق من الشعر وأحدّ من السيف وإذا أراد الإنسان أن يصنع التاريخ، فعليه أن يدرك أن (الزمان) في يد (المتزمّن) يعني أن الإنسان هو الذي يغير الزمان والعصر.

وهذا هو الأصل الذي يشير إليه الإمام علي عليه السلام في قوله: (لا ضمان على الزمان) فلا تلومنَّ الزمان أبداً فالزمان لا يضمن سعادة أو شقاء الأمم والشعوب وليس هو المسؤول عما يلحق بناء من أضرار وخسائر.

ثم يضيف الإمام علي عليه السلام قائلاً: (العالم بزمانه لا تهجم عليه اللوابس)[2].

فمن يدرك عصره وزمانه ومن يتفهَّم ما يجري حوله من أحداث، فإنه لن يواجه مشكلة في اتخاذ الموقف المناسب، ولن تعتريه الحيرة أبداً لأنه من يعرف سنن التاريخ يكون مؤهلاً لصناعة التاريخ.

---

(١) بحار الأنوار: ٨/٦٥ الرواية٢.

(٢) أصول الكافي باب العقل والجهل: ١/٢٦ الرواية ٢٩.

ويقول الإمام علي عليه السلام في رسالته الى نجله الحسن سبط النبي صلى الله عليه وآله.. (قطيعة الجاهل تعدل صلة العاقل.. إذا تغيّر السلطان تغيّر الزمان).

الابتعاد عن الجهلة من الناس تعدل في الأجر الاتصال بالحكماء من الناس، وإذا ما أردت أن تفهم عصرك فافهم أولاً سياسة الحكم القائم، لأنه إذا تغير نظام الحكم تغيّر الزمان والعصر وهذه هي المبادئ الأولى في صناعة التاريخ.

إنه (الإمام الراحل) لم يدرك سياسة إيران بل الشرق الأدنى والأقصى والغرب وما وراء البحار والأرض كلها. لقد أدرك أن باستطاعة الإنسان تغيير التاريخ والزمان.

أجل أدرك أن الإنسان ينطوي على هذه القابلية في التغيير الواعي للتاريخ، وأن هذا لا يتم بـ(الاجتهاد) فقط بل بـ(الولاية)، لأنه سبر أن الأحداث التفعيلية اليومية تزامن (الولاء) لا الاجتهاد الكلّي.

والإمام الراحل استند في قابلياته في سبر عصره إلى قدرة الله لأن (الثقة بالله ثمن لكل غالٍ وسلّم إلى كل عالٍ)[1].

وعندها يمكنه الثورة بمفرده، كان يعيش حالة الموحّد في الخوف والرجاء وكان لديه رؤية الموحد في ميثاقه مع الله في استمداد النصر.. وأخيراً في الاعتماد والتوكل عليه سبحانه، لأنه عندما كان وحيداً كان يهتف: (الله

---

(١) بحار الأنوار: ٣٦٤/٧٥ الرواية ٥ وهذا الحديث من كلمات الإمام الجواد تاسع أئمة أهل البيت عليهم السلام.

وعندما أصبح في قلب الملايين كان يهتف أيضاً (الله) ويوم كان ولا ناصر له كان يقول الله ويوم هبّت الأمة بأسرها لنصرته لم يقل شيئاً سوى: الله.. ومن كان هذا ديدنه لابد وأن ينصره الله ومن كان مع الله كان الله معه:

لم يقل مجازاً يا ربّ قالها في الحقيقة والقلب

في ما مضي قذفوا كتبه ومؤلفاته في الشارع ومزّقوا كتاباته وهي حاصل عمره، ثم ظهرت بعد سنوات طويلة في أيدي باعة الكتب في قارعة الطريق.

في تلك الأيام لم يهب لنصرته أحد.

ويوم كان إصدار البيانات يعود على المرء بالشعبية كانت البيانات كثيرة والتوقيعات كثيرة. ولكن يوم كان توقيع البيان الجهادي يعني الموت ويعني الابعاد يوم ينحسر إلا المخلص ويتراجع غير المخلص.. لأن الإمام علي عليه السلام يقول: (لو ارتفع الهوى لأنف غير المخلص من عمله).[1]

يوم يعود الجهاد على المرء بهتك الحرمات لا اكتساب الشهرة والمجد، ويوم يكون الجهاد بعيداً عن الهوى مقروناً بالأخطار. عندها ينزوي الجميع إلاّ المخلصين.. وفي مثل هذه الظروف ظهر الإمام الراحل رضوان الله عليه، فهاجم النظام الغاشم ولم يكن حاله يوم ذاك جبلاً بل شجرة خضراء في وادي غير ذي زرع.. ولذا ينسحب عليه ثناء الإمام علي عليه السلام في مالك الأشتر رضوان الله عليه: (لو كان حجراً لكان صلداً)[2] فطوبى له وحسن مآب.

(١) غرار الحكم ودرر الكلم ٢/٦٠٣ ح٩.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٠٦.

فإذا أراد أحد أن يسلك درب الإمام ويتابع خط الإمام فعليه أن يـدرك زمانه وعصره.. عليه أن يتصفح جيداً كتاب السياسة المحلية والدوليـة صـفحة صفحة، وألاّ يصطحب في رحلته هذه الهوى.

ولو اعتنق أحد الإسلام الأصيل واندك فيه اندكاكاً لتجرّع كـأس الـسمّ في سبيل نصرته.. ولقبض على الجمر من أجل مصلحة الإسلام، لأنه لن يـرى شيئاً غير الإسلام ولتساوى لديه النصر والهزيمة، ولا تأخذه في الله لومـة لائـم وعندما نبلغ هذا المستوى.. عندما نكون مستعدين لتجرع كؤوس السم عندها يمكننا أن نكون من (السائرين على خط الإمام).

يجب أن تتألّق روح الإمام العظيمة في نفوسـنا حـتى يمكننـا أن نخطـو في ذات الطريق الذي سلكه وعبده لمن يتابعه.

والإمام الخميني كان آية الله الكبرى، ولكن هذا لا يعني أنه لن يأتي أحد يعدله أو يماثله لأن ذلك ينحصر فقط في شخصية رسول الله ﷺ وقـد قـال الله سبحانه: ﴿ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها﴾[1].

الرسول ﷺ هو وحده الاستثناء تخصُّصاً لأن وجود النبيﷺ مستمر في القرآن الكريم وعترته، وهما الثقلان اللذان أوصي أمته بالتمسـك بهمـا الى يوم القيامة.

سيدنا محمد ﷺ لا يفقد مادام الدهر ينجب المئات مـن أمثـال الإمـام الراحل وهو من أعاد للإسلام مجده في الدنيا.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٠٦.

والسؤال هنا كيف تأتّي للإمام الراحل أن يطوي هذا الطريق؟

لقد كان طريق الإمام مليئاً بالأخطار منقوعاً بالدماء القانيـة.. إنَّ طريقـه هو الطريق الدامي المرير... الطريق الـذي يتطلـب الإخـلاص الكامـل في كـل خطوة من خطاه.

طريق الإمام هو الطريق الذي عجز عن سلوكه مئات الفقهاء في مستوى صاحب الجواهر والشيخ الأنصاري والبروجردي، ولكن يجـب التأكيـد علـى إمكانية طيّ هذا الطريق بالرغم من مشاقِّه.

يقول أمير البيان العربي: (وأعظم ما افترض الله سبحانه وتعالى من تلـك الحقوق حق الوالي على الرعية وحق الرعية على واليها)[1].

وبعد أن بيّن الإمام عليه السلام الحقـوق المتقابلـة يقـول: (فريـضة فرضـها الله سبحانه وتعالى لكلٍّ على كلّ)[2] وعندما تتحقق هذه الحالة في إرسـاء معادلـة الحق والواجب تكون النتيجة: (فصلح بـذلك الزمـان وطمـع في بقـاء الدولـة ويأست مطامع الأعداء)[3].

فصناعة التاريخ.. إنتاج التاريخ يتوقف علـى إدراك وتفهـم الواجبـات المتقابلة بين الإمام والأمة.

فالمسؤول الأعلى في المجتمع عليه واجبات تجاه الأمة ولـه أيـضاً عليهـا حقوق، وعندما تستقر معادلة الحق والواجب عنـدها يطمـئن علـى اسـتمرار

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٢٠٧.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر نفسه.

النظام وبقاء الدولة ويومها ييأس الطامعون. ولذا تقع عليكم مهمة صناعة التاريخ وتكونوا حينئذ من السائرين على خط الإمام وهذه مسؤولية ليست يسيرة.

والقيام بهذه المسؤولية والنهوض بهذه المهمَّة، لا يتم بالدراسة والبحث بل أن أغلبه يتحقق بـ (الإلهام) الإلهي.. وعندما نستنطق هذه الآية الكريمة من قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً﴾[1] تجدها تهتف بهذه الحقيقة..أن تتقي الله يعني إضاءة مصباح ينير لك الطريق.. الطريق الذي يوضح الحق عن الباطل..وتمييز الحق عن الباطل ليس أمراً سهلاً.

وعندما نشخص الحق عن الباطل، يمكننا اتخاذ الموقف الصائب وسوف لن يكون هناك مجال للهوى أن يملي علينا رغبته وإرادته وميوله.

فالقلب الذي يملأه الهوى لا مكان فيه لتقوى الله، سوف يعيش حالة مدمرة من الحرمان وانعدام الإرادة الحرّة المستقلة.

وعندما نعيد ترتيب معادلة الآية الكريمة الأنفة الذكر تصبح: (إن لم تتقوا الله لا يجعل لكم فرقاناً) وهو يعادل مضمونه قول الإمام علي عليه السلام: (من لم يهذب نفسه لم ينتفع بالعقل)[2] فالدراسة وحدها والثقافة بمفردها لن تجدي شيئاً ما لم يصاحبها ترويض للنفس وتهذيب لها.

وعندما سأل الإمام الصادق عليه السلام أبا حنيفة عن مبانيه في الإفتاء أجاب الأخير: بالقرآن!

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٢٩.

(٢) ميزان الحكمة، محمد الريشهري:ج٤ ص٣٣٣٤ .

وهنا نرى الإمام الصادق يستنكر عليه ذلك قائلاً: تزعم أنك تفتي بالقرآن ولست من ورثه![1]..

وهذا يعني أن الإفتاء بالقرآن يحتاج الى علم وراثة في الغالب لا (علم دراسة). فخط الإمام ليس علماً يدرس بقدر ما هو ميراث يرثه الذين ﴿لا يخافون في الله لومة لائم﴾[2] وهم الذين طلقوا الدنيا طلاقاً علوياً..

الزهاد الذين انزووا بعيداً ويتصوّرون أنهم طلقوا الدنيا، هؤلاء طلقتهم الدنيا. هذا (طلاق خلعي) أو، (طلاق مباراة) طلاق ليس فيه من الرجولة شيء.. الطلاق الذي فيه شهامة هذا الطلاق العلوي، حيث ترتمي الدنيا أمام قدميه تتوسل إليه تغريه بكل كنوز الشرق الأوسط فيقول لها: (طلقتك ثلاثاً لا رجعة لي بعدك)[3].

كثيرون ابتعدوا عن الدنيا ولكنهم لم ينتهجوا نهج علي لأنهم (من ترك الدنيا للدنيا)[4] لأنَّ (أفضل الزهد إخفاء الزهد)[5].

وهذا هو جوهر القضية.

ومن هنا يتضح المعيار في متابعة خط الإمام.

---

(١) بحار الأنوار: ٢ /٤٨٨ الرواية ٤.
(٢) ﴿لا يخاف في الله لومة لائم﴾ المصدر السابق: ٣٢/ ٤٢٧ الرواية ٣٨٩.
(٣) بحار الأنوار: ٤٠ /٣٢٨ الرواية ١٠.
(٤) بحار الأنوار: ٢ /٨٤ الرواية ١٠.
(٥) المصدر السابق: ٦٧/ ٣١٦ الرواية ٢٣.

والموضوع الهام الذي يتوجب طرقه ونحن الى جوار هذه البقعة المباركة التي تضمّ جثمان سليل رسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِه الإمام الخميني رِضْوَانُاللهِعَلَيْهِ هو أن الإنسان يمكنه بلوغ مرتبة يكون مختلفاً للملائكة.

والمؤمن الحق هو من يتربّى في مدرسة الأنبياء عَلَيْهِمُالسَّلَامُ والأولياء ليكون منزله في حياته ومرقده بعد وفاته مختلفاً للملائكة. ونحن إذا تأملنا في الروايات والأحاديث سوف يتضح ما إذا كان مرقد الإمام الطاهر مهبطاً للملائكة أم لا؟

الإمام علي عَلَيْهِالسَّلَامُ يعرّف أهل البيت قائلاً: (نحن شجرة النبوة ومهبط الرسالة ومختلف الملائكة)[1] هنا نزلت الرسالة وهنا تهبط الملائكة.. فالعترة الطاهرة من آل النبي هم أغصان شجرة النبوّة ثم يقول الإمام علي عَلَيْهِالسَّلَامُ: (لا يقاس بهم أحد من الناس)[2] ويقول: (نحن أهل البيت لا يقاس بنا أحد)[3]، ويقول أيضاً (لا يقاس بآل محمد من هذه الأمة أحد)[4].

و(أحد) نكرة في سياق النفي ولا تختص بالناس فقط حتى الملائكة من حملة العرش لا يمكنهم تفضيل أنفسهم على علي عَلَيْهِالسَّلَامُ، وقد سمعتم من الإمام الراحل رِضْوَانُاللهِعَلَيْهِ أن أعظم الملائكة كان يهبط على الزهراء عَلَيْهَاالسَّلَامُ. ومن هنا فنّد الإمام الرضا عَلَيْهِالسَّلَامُ ثامن أئمة أهل البيت عَلَيْهِمُالسَّلَامُ شرعية السقيفة، لأن الإمام لا يتمّ انتخابه بشرياً وإنما إلهياً.

---

(١) بحار الأنوار: ٤٠/ ٨٧ الرواية ١١٤.

(٢) المصدر السابق: ٢٤/ ٢٧٤ الرواية ٥٩.

(٣) المصدر نفسه: ٢٢/ ٤٠٦ الرواية ٤٠٦.

(٤) المصدر نفسه: ٢٣/ ١١٧ الرواية ٣٢.

لأن: (الإمام واحد دهره، لا يدانيه أحد، ولا يعادله عالم، ولا يوجد منه بدل، ولا له مثل ولا نظير، وهو بحيث النجم من أيدي المتناولين ووصف الواصفين، فأين العقول من هذا وأين الاختيار من هذا؟)[1].

ولا يمكن للسقيفة أبداً ولا للإجماع أبداً انتخاب إمام معصوم، فالانتخاب البشري بشكل عام عاجز عن ذلك فـ(أين العقول عن هذا؟ وأين الاختيار من هذا؟).

ولذا قال الإمام علي عليه السلام: (نحن شجرة النبوة ومحط الرسالة ومختلف الملائكة)[2].

والاختلاف يعني هبوط وصعود الملائكة حتى لا يخلو المكان بقول القرآن الكريم: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾[3].

ولذا فإن المراقد الطاهرة لأئمة الهدى هي كالحرمين الشريفين محلّ لتردد الملائكة واختلافهم هبوطاً وعروجاً.

والآن لنرى هل يمكن لتلامذة أولئك الطاهرين أن يكونوا محلاً لاختلاف الملائكة؟

لقد خاطب الإمام علي عليه السلام جنوده في صفين قائلاً: (إني متكلم بِعدَةِ الله وحجته)[4].

---

(١) بحار الأنوار: ٢٥/١٢٥ الرواية ٤.

(٢) المصدر نفسه: ٢٦/٢٦٥ الرواية ٥٢.

(٣) سورة الفرقان: الآية ٦٢.

(٤) بحار الأنوار: ٧١/١٩٠ الرواية ٥٩.

يعني أنه يتحدث بالقرآن.. كلامه مستمد من القرآن ودليله دليل القرآن وحجته.

إنه ينطلق من هذه الآية الكريمة ومن قوله تعالى: ﴿الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة إلا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون﴾[1].

ولذا قال لجنوده: (وقد قلتم ربنا الله فاستقيموا على كتابه ومنهاج أمره)[2].

وهذه الكلمات المضيئة تخاطب تلامذة علي عليه السلام تقول لهم أن الملائكة لا تهبط على المعصومين فقط إنها تنزّل على المؤمنين المتقين الذين يسيرون على منهاج ربهم.

والنقطة المهمة في هذا الخطاب أنه لم يكن في المسجد أمام جموع المصلّين في حال صلاة أو صيام ـ وإن كان مقاماً مناسباً ـ بل كان ذلك في ميدان الصراع المسلّح وفي سوح الحرب والقتال.

فالإنسان الذي يعلن إيمانه بالله ثم لا يهاب الشرق ولا الغرب وهو ينتهج طريقاً لا يميناً ولا شمالاً سوى طريق الله المستقيم ومنهاج الرب العظيم فهذا إنسان تتنزّل عليه الملائكة وتبشره ورفاقه وإخوته: ﴿أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[3].

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٣٠.

(٢) بحار الأنوار ٧١/١٩٠.

(٣) سورة فصلت، الآية: ٣٠.

ولقد قال الإمام الراحل: ربي الله، ثم استقام ويحق لنـا أن نخاطبـه اليـوم ونحييّه قائلين:

السلام عليك أيها العبد الصالح.. السلام عليـك يـا مختلـف الملائكـة. إنّ هؤلاء الذين يحجّـون الى مرقـده مـشياً علـى الأقـدام ويقطعـون المـسافات الشاسعة إنما يفعلون ذلك لأنه قال ربي الله ثم استقام علـى منـهج الله.. فمـن أجل هذا تزوره الملايين من المؤمنين وتتنزّل عليه الملائكة فطوبى لـه وحـسن مآب.

الملائكة الذين هم مظاهر الله سبحانه قولهم فعلـهم: (إنمـا قولـه فعلـه)[1] انهم يحتفون المؤمن بالنشاط وهذا في ذاته تبريك.. إنهم يحملون إليـه الـروح والريحان وهو في ذاته تهنئة.

والسرّ في قوله تعالى في سورة الرعد: ﴿أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[2] هو أن ذكر الله في ذاته فعله لأن فعل الله (أنزل السكينة) وعندما يكون نصيب القلب السكينة يكون محصّناً ضد كل عوامل النفوذ المخربة.

ولهذا ينعم قلب المؤمن بالله بالسكينة والطمأنينة والسلام.

ومن أجل هذا كان جنود الإسلام في الصدر الأول يلوذون بـالنبي ﷺ: (كنا إذا حمي الوطيس لذنا برسول الله)، (كنا إذا احمـرّ البـأس اتقينـا برسـول الله ﷺ لأن رسول الله ﷺ في مأمن إلهي: ﴿فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾[1].

---

(١) بحار الأنوار: ١/١٢٢ الرواية ١١.

(٢) سورة الرعد، الآية: ٢٨.

وفي مثل هذه الحالة يعيش الإنسان في مأمن من خطر الرعب.. يثور بكل طمأنينة ويقضي على النظام الشاهنشاهي المشؤوم، ويعيش عشرة أعوام قائداً عاماً للدولة تغمره السكينة.. ثم يرحل الى الملكوت الأعلى بضمير مشرق وقلب يغمره الأمل ويودّع أخوته في الإنسانية وأخوته الى ديار الحبيب.[٢]

والنقطة الجديرة بالذكر في ختام هذا الفصل، هي أن إحياء اسم الإمام الراحل يكون في ظلال الالتفاف حول سماحة القائد (الخامنئي) الحكومة، القضاء، ومجلس الشورى وكل المؤسسات التي ترتبط بـ(ولاية الفقيه) هذا من جهة وتعزيز عرى التضامن والوحدة واجتناب الفرقة والنزاع من جهة أخرى.

حذار أن نردد فقط: اسم الإمام.. حرم الإمام.. لأن هذا المرقد الطاهر الذي يحفّ به الزوّار من كل حدب وصوب وفي غياب الأمَّة عن الساحة سيكون عرضة أن يداس ببساطير الشرق والغرب (معاذ الله)، كما نرى ذلك اليوم ومع شديد الأسف، كيف تداس تربة الحسين والبوابة التي هي محل للقبل العاشقة على امتداد عشرة قرون تحت بساطير الجلادين العفالقة؛ وكيف أصبح الضريح الطاهر لبطل الإسلام الخالد علي بن أبي طالب أسيراً في قبضة صدّام الكافر العفلقي.. وعليّ هو القائل: (ينحدر عني السيل ولا يرقي إليّ

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

(٢) (بقلب مفعم بالسلام وبروح مبتهجة وضمير يرجو فضل الله استأذن أخواتي وإخوتي وأرحل إلى عالم الأبدية) من وصية الإمام الراحل (المترجم).

الطير)[1]. ومن هنا لا يكفي وجود الإمام أو المعصوم لوحده أبداً بل (حضور الشعب) وهذا يتأتي من خلال النمو الثقافي والفكري، والنمو الثقافي لا يتأتي إلا من خلال أخلاص ووفاء مسؤولي الدولة.

والذي يهب الإخلاص لمسؤولي الدولة هي العلاقة الوثيقة بين الإمام والأمة وبين القائد والشعب واجتناب الهوى، وإلا فإن ما نراه اليوم هو إن سيدنا الحسين محاصر في ضريحه، وصدّام هو المنتصر: ﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾[2].

ما الذي يا ترى أخفي مرقد علي بن أبي طالب عشرات السنين[3]، ثم هو اليوم في قبضة صدّام الكافر الذي انتهك حرمته بل هو في الحقيقة تحت سلطة الغرب والكفر؟

فأي مرجع تقليد لم يفخر بأنه قبل عتبة المرقد العلوي ويتباهي بشمها واستنشاق عبير الكرامة الإنسانية، ثم يودع ذلك المشهد المبارك في إنسان عينه.

ولكن هذا المكان المقدس هو الآن تدوسه بساطير البعثيين.

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٣ (الشقشقية).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٤٠.

(٣) ظل قبر الإمام علي ﷺ سراً منذ سنة ٤٠ هـ وحتى سقوط الحكم الأموي (المترجم).

النمو الثقافي اليوم والحضور السياسي، والإخلاص لشعب إيران المسلم والانسجام بين الحكومة والأمة، هو الذي جعل الضريح الطاهر للإمام الراحل يتألق بالنور والحب والسلام.

وفقنا الله سبحانه وأبناء أمتنا للسير في طريق الإمام وفي خط الإمام.

«بما أن محور تفكير البعض لا يتجاوز محيط المسجد إذ إنهم لا يمتلكون سعة الأفق ـ عند الحديث عن أكل السحت ـ لا يخطر ببالهم سوى البقال القريب من المسجد الذي يطفف في البيع مثلا والعياذ بالله؛ فلا يلتفتون إلى التطبيقات الواسعة والكبيرة لأكل السحت والنهب التي تتمثل ببعض الرأسماليين الكبار، أو من يختلسون بيت المال، وينهبون نفطنا، ويحولون بلادنا إلى سوق لبيع المنتوجات الأجنبية غير الضرورية، والغالية الثمن، لكونهم يمتلكون وكالات عن

الشركات الأجنبية، ويملأون جيوبهم وجيوب المتمولين الأجانب من أموال الشعب عبر هذا السبيل»[1].

(١) الحكومة الإسلامية للإمام الخميني قدس سره: ص ١٦٦.

إرشادات الإمام لحفظ هوية الحوزة

تتمتع الحوزة العلمية بمكانة خاصة لدى عامة الناس لما لعالم الدين ولهذه المؤسسة من دور ريادي منقطع النظير في تحديد مسار العالم الشيعي بل والعالم الإسلامي بشكل عام فبكلمة رئيس الحوزة العلمية للشيعة يمكن أن تتغير معادلات بأكملها في نقطة ما من العالم الشيعي بل في العالم أجمع كما هو حاصل في العقود الأخيرة.

إنّ هذه المكانة المرموقة التي وصلت إليها المؤسسة العلمية الشيعية لم تكن نتيجة مرسوم اعتباري من ملك أو خليفة أو نتيجة إشهار السيف من قبل القائمين على هذه المؤسسة على رقاب عامة الناس بل هو نتيجة طبيعية لما قدمته وتقدمه هذه الحوزة من إسهامات بناءة في وسط الأمة على مدى عشرات القرون دفعت ثمنه باهظاً من عرق وتعب ودماء المئات بل الآلاف من المنتسبين لهذه المؤسسة وهو ما لا نجد مثيلاً له في أي مؤسسة دينية أو دنيوية أخرى.

هذه المكانة وهذا الدور الخطير الذي تتصدى له المؤسسة الدينية يعرض عليها الانتباه والحذر الشديد تجاه ما يمكن أن تتعرض له من أخطار داخلية نتيجة التهاون أو خارجية نتيجة طمع العدو في التخلص من السد المنيع الذي يقف أمام مشاريعه الاستيلائية على خلق الله ومصالحهم.

وقد التفت الإمام الخميني المقدس إلى هذه الأخطار التي يسلم الجميع بوجودها وقدم التوصيات اللازمة والعملية للقضاء عليها أو الحد من آثارها المخربة فكانت له هذه الخطوات.

١ـ التحقيق حول المنتسبين لهذا السلك:

لو سألنا أي شخص متصدي لمسؤولية ما في مؤسسة ما كبرت أو صغرت هذا السؤال: هل يشترط في الموظف أو العامل أو المنتسب لمؤسستكم شروط معينة زائدة على الشروط العامة من العقل والإنسانية وعدم كونه صغيراً أو سفيها لكان جواب الجميع بالإيجاب بل ربما يستغرب بعضهم توجيه هذه التساؤل.

هذا الأمر البديهي الذي يسعي الجميع مهما صغرت مسؤولية مؤسساتهم إلى توفره في المنتسبين لهم لا نجد الاهتمام الكافي به في الحوزة بل مازال الكثير يصر على رفض مثل هذا الأمر فلا مكان للتساؤل عن تاريخ من يريد الانتساب للحوزة ولا للتحقيق في ما يحمل من أفكار ومتبنيات وما هي سلوكياته على المستوى الشخصي وبذلك يصبح أهم الأمور وأغلاها في حياة الناس ومماتهم وهو الدين يصبح من أزهدها وأرخصها.

لقد اعتنى الإمام الخميني بهذا الأمر قبل انتصار الثورة وبعدها يقول قدس سره في لقاءه مسؤولي التحقيق في الحوزة العلمية.

(توجد أطماع من مختلف الجهات في الحوزة العلمية، لأنهم يستطيعون على المدى البعيد أن يهدموا ما نبنيه وإن تحقيقكم حول سوابق الأشخاص هو أمر جيد لأن هناك من كان سيئاً قبل الثورة أو بعدها والآن يقول أنا تبت ومن الممكن أن تكون توبته من أجل المصلحة فقط فيجب الالتفات حتى لا يفسد هؤلاء الحوزة)[1].

---

(١) صحيفة نور، ج٢٠، ٥٦.

٢ـ الاهتمام بالشأن الأخلاقي لطلاب الحوزة:

إن الكثير من طلاب الحوزة العلمية في قم يتـذكرون كيـف كـان الإمـام يهتم بتهذيب النفس لتلامذته فدرس عصر الجمعة الذي كان يلقيه في المدرسة الفيضية كان له الأثر الكبير على صقل النفوس المستعدة والـتي حملـت علـى عاتقها مسؤوليات كبار فيما بعد مترفعة عن الأنانية وحب الذات.

ومع كل المشاغل والمسؤوليات التي كانت علـى كتـف الإمـام في إدارة شؤون الثورة وهو في النجف الأشرف إلا أنـه كـان يـدرس الطـلاب دروس الأخلاق أيضاً وهو ما جمع فيما بعد في كتاب الجهاد الأكبر بل أن الكـثير مـن خطبه بعد انتصار الثورة وفي خضم الأحداث الكـبيرة لا تخلـو مـن إشـارة أو تصريح إلى شأن أخلاقي لتربية النفوس وخاصة التحذير من حب الذات.

يقال أن المرحوم آية الله مشكيني قدس سره تحـدث يومـاً في حـسينية جمـران بحضور مسؤولي النظام فأثنى على الإمام وبمجرد أن انتهي من كلامه خاطبـه الإمام قدس سره (إن النفس ومن دون مـدح وإطـراء يـصيبها الغـرور فكيـف إذا مُدحت).

يقول رضوان الله عليه في هذا المجال في أول خطاب له في المدرسة الفيضية بقم بعـد الانتصار.

(يجب أن تستيقظ الحوزة العلمية... التقوى التقوى التقوى اجعلوها نصب أعينكم. ايها الفضلاء، يا طلاب العلوم الدينية التقوى التقـوى تنزيـه الـنفس مجاهدة النفس من يجاهد نفسه يستطيع أن يحكم أمة. هذبوا حوزاتكم)[1].

---

(١) ١٠/١٢/١٣٥٧هـ ش.

٣ـ القضاء على التنازع:

كما هو في كل حركة ونشاط وفي كل مشروع وعمل جماعي فإن الاختلاف في وجهات النظر أمر يلازم ذلك العمل ولا يمكن انفكاكه وهذا أمر طبيعي حيث الاختلاف في الفهم وتفاوت القابليات بين الأشخاص حتى لو صفت نياتهم.

إلا أن ما ليس بطبيعي هو تطور الخلاف في الرأي بين المؤمنين إلى نزاع وتخاصم وسراية هذا الاختلاف من القيادات وفضلاء الحوزة إلى عامة الناس ومن هنا يتحتم على القيادات العمل من أجل الحد من دون التحول إلى النزاع وبين المؤمنين بمشروع واحد يخدم الإسلام.

في برهة من تاريخ الثورة بعد الانتصار وصل اختلاف وجهات النظر بين فريقين من المجاهدين إلى حد الانشقاق وتأسيس جمعية أخرى للعلماء انفصلت عن الجمعية الأم وهو أمر غير مرغوب فيه إلا أنه وبعد وصول الأمور إلى هذه الدرجة يأتي دور القائد في تهدأة النفوس والحد من الخسائر بل وتحويلها إلى مكاسب للمشروع الذي يحمل ويؤمن به كل من الطرفين.

لقد عالج الإمام الخميني قدس سره ما حصل بين حوارييه بعدة توصيات:

١ـ إنّ هذا الاختلاف يجب أن يبقي محصوراً في الأساليب والتكتيكات العملية لإدارة الدولة ولا يسرى إلى الأهداف الكبرى فلا ضير مازال الفريقان يشتركان في أصول الثورة ويدافعان عن أحكام الإسلام والقرآن ويؤمنان بمواجهة الكفر والاستكبار العالمي.

يقول رضوان الله عليه في جوابه على سؤال حول نظرته لمثل هذا الاختلاف الذي لا يمس الأصول (دائماً يقع الاختلاف بين العلماء والفقهاء في مختلف الشؤون حتى في المسائل المدعي عليها الإجماع من الممكن أن يوجد من يخالفها ناهيك عن الاختلاف بين الأصوليين والإخباريين فهل يمكن أن نعتبر الفقهاء وبسبب هذا الخلاف يعملون ـ والعياذ بالله ـ بغير الحق وخلاف الدين!!.

ويجب عليك أن تعلم أن الاختلاف ما دام لم يتجاوز مثل هذه الحدود فإنه لا خطر يهدد الثورة وإن الخطر يكمن عندما تصل الاختلافات إلى الأصول والمباني التي يقوم عليها النظام ولذا فإنني أقبل هذا الاختلاف بين أنصار الثورة حيث أنهم أوفياء للبلد وقلوبهم تحترق من أجل الشعب وكل واحد منهم يريد أن يخدم الإسلام بالنظرية التي يؤمن بها كل واحد من الجناحين يريد أن يصبح الإسلام قوة عظمى في العالم. إلا إنه يجب عليهم الالتفات إلى أن تكون مواقفهم مع محافظتها على أصول الإسلام تحافظ على الغضب الثوري تجاه الرأسمالية الغربية وبالخصوص أمريكا المعتدية والشيوعية والاشتراكية العالمية.

على كل الجناحين أن يثبتوا بكل وجودهم على نظرية لا شرقية ولا غربية وفي حال عدول أحد ما عن هذا الشعار يجب أن يقوّم بسيف العدالة الإسلامية)[1].

---

(١) نقلاً بالمعنى عن رسالة الإمام إلى الشيخ الأنصاري.

٣ـ الحذر من الخناسين الذين لا همَّ لهم سوى النميمة بين الأفرقاء وقد يكون بعضهم مدسوساً من أجل هكذا هدف أو لا أقل يكون جاهلاً بالنتيجة التي يمكن أن يصل إليها عمله وجهده.

يقول قدس سره مخاطباً العلماء من الجانبين

(على أي حال إن أحد الأعمال التي تحوز رضا الله تعالى على نحو اليقين هو تأليف القلوب والعمل على رفع ما في الخواطر وتقريب وجهات النظر. يجب أن يحتاط من الواسطات الذين لا شغل لهم إلا ترويج إساءة الظن بالجهة الأخرى. إنّ لديكم من الأعداء المشتركين ما يوجب عليكم الاتحاد للوقوف بوجههم).

٤ـ المحكمة الخاصة بالحوزويين

يؤمن الإمام قدس سره بأنه يجب أن تكون لمؤسسة الحوزة العلمية القدرة التنفيذية على مراقبة من ينتسبون إليها من طلاب وطرد الأشخاص غير الصالحين الذين يحاولون الاندساس في وسط هذه المؤسسة الهامة بعيداً عن التعصبات القبلية والمناطقية والقومية حتى لا تتحمل الحوزة العلمية الآثار التي ينتجها انحرافهم عن الطريق المستقيم فيساء الظن بعشرات الآلاف من الطلاب والفضلاء وجنود صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف بسبب هذه الفئة القليلة.

(أنتم الذين تدرسون اليوم في هذه المراكز العلمية وتتطلعون لأن تتسلموا في الغد زمام قيادة المجتمع وهدايته؛ لا تتصوروا أن كل واجبكم أن تحفظوا حفنة من المصطلحات، بل تقع على عاتقكم مسؤوليات أخرى أيضاً. ينبغي أن تبنوا أنفسكم وتربوها في هذه الحوزات بحيث إذا ما ذهبتم إلى مدينة أو قرية وفقتم إلى هداية أهاليها وتهذيبهم، يؤمل منكم عند مغادرتكم

الحوزات العلمية أن تكونوا قد هذبتم أنفسكم وبنيتموها بنحو تتمكنون من بناء الإنسان وتربيته وفقاً لأحكام الإسلام وتعاليمه وقيمة الأخلاقية. ولكن إذا ما عجزتم ـ لا سمح الله ـ عن إصلاح أنفسكم خلال مراحل الدراسة، ولم تكتسبوا الكمالات المعنوية والأخلاقية، فإنكم أينما ذهبتم ستضلون الناس ـ والعياذ بالله ـ وتسيئون إلى الإسلام وإلى علماء الدين.

تقع على عاتقكم مسؤولية ثقيلة وجسيمة. فإذا لم تعملوا بمسؤولياتكم في الحوزات العلمية ولم تفكروا بتهذيب أنفسكم، واقتصر همكم على تعلم عدد من المصطلحات وبعض المسائل الفقهية والأصولية، فإنكم ستكونون في المستقبل عناصر مضرة ـ لا سمح الله ـ للإسلام والمجتمع الإسلامي، ومن الممكن أن تتسببوا ـ والعياذ بالله ـ في إضلال الناس وانحرافهم. فإذا ما انحرف إنسان وضل بسبب سلوككم وسوء عملكم، فإنكم ترتكبون بذلك أعظم الكبائر، ومن الصعب أن تقبل توبتكم. كما لو أن شخصاً اهتدى بكم فإن ذلك خير لكم مما طلعت عليه الشمس، كما ورد في الحديث الشريف.

إنّ مسؤوليتكم جسيمة للغاية... وواجباتكم غير واجبات عامة الناس. فكم من الأمور مباحة لعامة الناس إلا أنها لا تجوز لكم، وربما تكون محرمة عليكم، فالناس لا تتوقع منكم أداء الكثير من الأمور المباحة، فكيف إذا ما صدرت عنكم ـ لا سامح الله ـ الأعمال القبيحة غير المشروعة، فإنها ستعطي صورة سيئة عن الإسلام وفئة علماء الدين. وهنا يكمن الداء، فإذا شاهد الناس عملاً أو سلوكاً من أحدكم خلافاً لما يتوقع منكم، فإنهم سينحرفون عن

الدين ويبتعدون عن علماء الدين، وليس عن ذلك الشخص، وليتهم ابتعدوا عن هذا الشخص وأساءوا الظن به فحسب.

إذا ما رأى الناس تصرفاً منحرفاً وسلوكاً لا يليق من أحد المعممين، فإنهم لا ينظرون إلى ذلك بأنه من الممكن أن يوجد بين المعممين أشخاص غير صالحين، مثلما يوجد بين الكسبة والموظفين أفراد منحرفون وفاسدون. لذا فإذا ما ارتكب بقال مخالفة، فإنهم يقولون إن البقال الفلاني منحرف، ولو ارتكب عطار عملاً قبيحاً، فإنهم يقولون: إن العطار الفلاني شخص منحرف. ولكن إذا ما قام أحد المعممين بعمل لا يليق، فإنهم لا يقولون: إن المعمم الفلاني منحرف، بل يقولون إن المعممين سيئون.

فإذا ما انحرف العالِم فمن الممكن أن يضل أمة بأسرها ويجرها إلى الهاوية. وإذا كان مهذباً يراعي الأخلاق والآداب الإسلامية، فإنه يعمل على هداية المجتمع وتهذيبه.

فقد كنت أرى في بعض المدن التي كنت أذهب إليها في فصل الصيف، أهالي تلك المدن ملتزمين بآداب الشرع إلى حد كبير. والسبب في ذلك كما اتضح لي، هو أنه كان لديهم عالم صالح ومتق، فإذا كان العالم الورع والصالح يعيش في مجتمع أو مدينة أو إقليم ما، فإن وجوده يبعث على تهذيب أهالي تلك المدينة وهدايتهم، وإن لم يكن يمارس الوعظ والإرشاد لفظاً).

قبل انتصار الثورة الإسلامية انصب جهد الإمام عليه الرحمة في معالجة ارتباط بعض المعممين بحكومة الشاه المحاربة للدين على ثلاثة محاور.

الأول: تنبيه هؤلاء الأشخاص إلى خطر ما يقومون بـه ومخالفتـه للـدين الإسلامي ومصالح المسلمين.

(... يجب علينا إصلاح أفكار هـؤلاء... اجتمـع في مـنزلي يومـاً الآيـات العظام البروجردي وحجت والصدر والخونساري ﭬ لأجل البحـث في أمـر سياسي. فقلت لهم: قبل كل شيء احسموا وضع هؤلاء المتقدسـين فـإن وجـود هؤلاء بمثابة تقييد لكم من الداخل مع هجـوم العـدو مـن الخـارج. إنّ هـؤلاء اسمهم مقدسون وهم ليسوا كذلك.. فعليكم إيجاد حل لهؤلاء)[1].

الثاني: الافتاء بحرمة أعمالهم والتي ظاهرها خدمة الدين والحوزة العلميـة واعتبار أن قبول طالب العلم التصدي لمسؤولية من قبل حكام الجـور موجبـاً لسقوط عدالته.

مسألة ١٥:

لا يجوز لطلاب العلوم الدينية الدخول في المدارس الدينية الـتي تـصداها بعض المتلبسين بلباس العلم والدين من قبـل الدولـة الجـائرة أو بإشـارة مـن الحكومة سواء كان البرنامج من الحكومة أو من المتصدي وكان دينيـاً لمفـسدة عظيمة على الإسلام والحوزات الدينية في الأجل والعياذ بالله.

---

(١) الحكومة الإسلامية للإمام الخميني ﭪ.

مسألة ١٦:

لو قامت قرائن على أن مؤسسة دينية كان تأسيسها أو إجراء مؤونتها من قبل الدولة الجائرة ولو بوسائط لا يجوز للعالم تصديها، ولا لطلاب العلوم الدخول فيها، ولا أخذ راتبها، بل لو احتمل احتمالاً معتداً به لزم التحرز عنها، لأن المحتمل مما يهتم به شرعاً، فيجب الاحتياط في مثله.

مسألة ١٧:

المتصدي لمثل تلك المؤسسات والداخل فيها محكوم بعدم العدالة، لا يجوز للمسلمين ترتيب آثار العدالة عليه من الاقتداء في الجماعة وإشهاد الطلاق وغيرها مما يعتبر فيه العدالة.

مسألة ١٨:

لا يجوز لهم أخذ سهم الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف وسهم السادة، ولا يجوز للمسلمين إعطاؤهم من السهمين ما داموا في تلك المؤسسات ولم ينتهوا ويتوبوا عنه.

مسألة ١٩:

الأعذار التي تشبث بها بعض المنتسبين بالعلم والدين للتصدي لا تسمع منهم ولو كانت وجيهة عند الأنظار السطحية الغافلة[1].

الثالث: الإيعاز إلى الناس بمحاربتهم ومقاطعتهم وتجريدهم من أهم سلاح يمتلكونه وهو انتسابهم لهذه المؤسسة الهامة (على شبابنا أن ينزعوا

---

(١) المسائل من كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من تحرير الوسيلة.

عمائم هؤلاء الذين يقومون بفساد كهذا في الارتباط بالظلمة - في مجتمعنا باسم فقهاء الإسلام وعلمائه)[1].

أما بعد انتصار الثورة الإسلامية وإقامة النظام فقد اتخذ التعامل مع هذه الفئة وغيرها بعداً قانونياً ملزماً وذلك عبر تأسيس محكمة خاصة بهذا الصنف تقوم بالنظر في كل شكوى يكون أحد طرفي النزاع فيها عالم دين. وكذلك محاسبة كل من يرتكب ما يخالف طبيعة الانتساب لهذه المؤسسة الشريفة.

وقد كان من أسباب تأسيس هذه المحكمة الخاصة:

أ - معرفة العلماء بعضهم البعض فمن هو داخل الحوزة وينتمي لهذا الصنف يعرف طبيعة الانتساب لهذا السلك وما يستوجبه الدخول في هذه المؤسسة من أعراف وأخلاق وقوانين.

ب - اختلاف الأثر الذي تخلفه مخالفة عالم الدين للتعاليم الإسلامية. لقد وضع الإسلام أحكاماً جزائية بما يناسب المخالفات الصادرة من الأشخاص بالإضافة إلى الأثر الذي تتركه تلك المخالفات.

وبما أن أثر عصيان عالم الدين وتمرده على القانون يكون أكبر بكثير من الأثر الذي يرتكبه عامة الناس فلابد من إيجاد صيغة قانونية تلحظ هذا الأثر في الأحكام الصادرة (فهلاك العالِم هلاك العالم).

يقول القائد الخامنئي دام ظله في هذا الصدد: (في بعض الجرائم يكون للقاضي الحق في تخفيف الأحكام أو تغليظها نظراً للمصالح والظروف المترتبة

---

(١) الحكومة الإسلامية للإمام الخميني قدس سره.

على ذلك وارتداء الزي العلمائي هو من الأسباب التي توجب تشديد الأحكام).

هذه بعض الخطوات التي كان الإمام رضوان الله عليه يمارسها ويدعوا لها من أجل صيانة القاعدة الأولى للشيعة من الانحراف أو الذوبان ومن خلال كلماته رضوان الله عليه يجد المطالع الكثير من الإرشادات في هذا المجال سواء قبل الثورة أو أثناءها أو بعد الانتصار.

«إن نبي الإسلام ليس بحاجة إلى المساجد الارستقراطية والمآذن المزخرفة، نبي الإسلام كان همه عزة أتباعه ورفعتهم، هؤلاء الذين - لشديد الأسف - أنزلهم الحكام العملاء إلى حضيض الذل. هل يمكن أن ينسى مسلمو العالم فاجعة مجزرة المئات من العلماء والألوف من النساء والرجال من المذاهب الإسلامية المختلفة طوال حياة آل سعود المخزية، وكذا مجزرة حجاج بيت الله الحرام؟! ألا يرى المسلمون أن المراكز الوهابية في العالم اليوم قد غدت مراكز للفتن والتجسس، مراكز يروج أصحابها لإسلام أبي سفيان، إسلام الفقهاء البلاطيين القذرين، إسلام المتظاهرين بالتدين والقداسة من عديمي الشعور في الحوزات العلمية الفقهية والجامعية، إسلام الذل والصَّغار، إسلام المال والسلطان، إسلام الخداع والتلفيق والتبعية، إسلام تحكم الرأسمال والرأسماليين بالمظلومين والحفاة، وبكلمة واحدة يروِّجون للإسلام الأمريكي من جهة ويمرغون جباههم على عتبة ... يدتهم أمريكا الجشعة من جهة أخرى!»[1].

---

(١) بيان الحج للإمام الخميني قدس سره عام ١٤٠٨هـ.

حوار حول الحكومة الإسلامية والإمام قدس سره

مع حجة الإسلام والمسلمين عميد زنجاني[1]

* برأيكم ما هي النسبة بين العقل والحكومة الإسلامية، وهل يوجد فارق بين مكانة العقل في الحكومات الإسلامية وغير الإسلامية؟

ـ في البداية لابد من الإشارة إلى هذه النقطة المهمة وهي: ما المراد من العقل، هل هو العقل العملي أم العقل النظري؟ وما هي الآثار التي يتركها كل منهما؟

إنّ العقلانية في المفهوم النظري تتلخص في قسمين: أحدهما في مجال الرؤية نَحْوَ العَالَم والآخر في مجال العلوم.

فالعقل النظري يمكن أن يتضمن معاييراً ورؤى مختلفة؛ إذ أن تطبيق العقل النظري شيء، أما منهج تطبيقه فيتحدد حسب المنطق الفكري السائد في المجتمع. فإذا ما استفدنا من منطق البرهان والقياس المنطقي فإن العقل النظري سيقودنا حسب فلسفته الخاصة (الميتافيزيقيا) ويوصلنا إلى الرؤية الخاصة بالعالم؛ أما إذا كان العقل النظري يستفيد من التجربة أو منطق التجربة أو المنطق التجربي، فإنه سيؤدي بنا إلى التطور والتقدم العلمي.

والظاهر أن هذه العقلانية موجودة في الحكومة بكلا مفهوميها الغربي والإسلامي، مع فارق أن الغرب لا يهتم عملياً كثيراً بالمفهوم الأول (العقل النظري الذي يستفيد من منطق البرهان والقياس المنطقي، للوصول إلى الرؤية

---

(١) أستاذ في الحوزة العلمية وجامعة طهران.

نَحْوَ العَالَم) بل يهتم أكثر بالعقل النظري بالمفهوم الثاني (التجربي ومنطقه التجربي)، لذا كانت معظم التطورات والاكتشافات التي ظهرت في العالم الغربي تختص بالجانب العلمي أكثر منها في الجانب الفلسفي بمفهومها الميتافيزقي، رغم وجود فلاسفة كبار فيه، أما الإسلام فإنه يؤيد كلا المنطقين الخاصين بالعقلانية المرتبطة بالحكومة، حيث يؤيد القرآن الكريم العقل المجرد(الإدراك المجرد) وكذلك العقل الحسي (التجربة الحسية).

إذن، لا يوجد فارق كبير في العقلانية بمعناها النظري سوى أن الإسلام يهتم أكثر بالرؤية نَحْوَ العَالَم، في حين يهتم الغرب بمفهومها التجربي. والآن نتساءل، هل يمكننا من خلال الرؤية الخاصة بالعالم أن نحصل على نتائج عملية، أم لا؟ وهذا ما سنشير إليه في القسم التالي.

أما بالنسبة للعقل العملي، فيوجد فارق كبير بين ما يؤمن به الغرب من فكر ومنهج ومنطق عملي، وبين الفكر والمنهج والمنطق الإسلامي؛ لأن العقل العملي يمثل نفس المصلحة المتضمنة فيه، والتي توجد حولها نظريات مختلفة سواء في مفهومها الفردي أو الجمعي، مما يؤدي إلى ظهور الاختلاف بين المنطق الغربي والمنطق الإسلامي.

فالإسلام لا يفصل في المصلحة بين الأمور الدنيوية والأمور الأخروية، ويرى في الماهية السعادة التي تبدأ بالولادة وتنتهي بالفناء والموت، وبالتالي تقع المصلحة التي يعتقد بها للفرد والمجتمع ضمن هذا الإطار؛ في حين تكون العقلانية بمفهومها العملي الغربي، هي المصلحة الدنيوية التي تبدأ بالولادة وتنتهي بالموت.

وقد أدى الفصل بين المصلحة الدنيوية والمصلحة الأخروية في الفكر الغربي إلى ظهور معنى آخر لأصل المصلحة الدنيوية؛ أي أن هذا التشابه لا يصل إلى المقدار الذي يمكننا من القول أن المصلحة الدنيوية في الإسلام تماثل المصلحة الدنيوية عند الغرب؛ لأن ماهية المصلحة الدنيوية ستختلف تماماً في الحياة بعد الموت؛ أي أن المصلحة الدنيوية في الإسلام تمتزج بالمصلحة الأخروية، وبالتالي فإنها تختلف تماماً عن المصلحة الدنيوية في الرؤية الغربية.

المسألة الأخرى ترتبط بالعلاقة بين العقل النظري والعقل العملي، وهو بحث فلسفي لا يختص بالإسلام فقط؛ فهل يمكن أن نصل إلى العقل النظري من خلال العقل العملي؟ إذا كان المقصود من الوصول وإيجاد علاقة العلية والمعلولية بين العقل النظري والعملي، هو استخراج مسألة ترتبط بالقيم والمصلحة عند اثباتنا لكل مسألة في العقل النظري؛ فالجواب على ذلك يكون سلبياً؛ لأننا لا نستطيع استنباط القيم من كثير من الضروريات، لكن إذا نظرنا إلى هذه القضية بصورة عامة، فنجدها دقيقاً بهذا الشكل؛ لأننا عندما اثبتنا في مجال العقل النظري سلسلة من الضروريات والأمور الواقعية كسلسلة: الله (المبدأ) والمعاد والوحي؛ فإننا سنفهم تلقائياً منهج العقل العملي أيضاً ويتضح أن (منهج الحياة هو الشريعة).

إذن، الجواب يكون إيجابياً على القضية بنحوها العام، لكن يختلف الفلاسفة الغربيون وكذلك الإسلاميون في جزئياتها، وإذا ما أردنا أن نطرح العقلانية كعنصر مشترك بين الحكومة بمفهومها الغربي والحكومة بمفهومها الإسلامي؛ فإننا سنضطر حتماً إلى بحث هذه الجزئيات ومناقشتها.

* عند التعارض بين المصالح الدنيوية والأخروية، يـرجح الغـرب بـالطبع المصالح الدنيوية، لكن بالنسبة لنا ما هي وظيفتنا في مثل هذه الموارد؟

ـ يمكن مناقشة هذا الأصل الـذي بنيـتم عليـه سـؤالكم؛ لوجـود بعـض المصالح التي تكون دنيوية فقط، والبعض الآخر يكون أخروياً فقط.

* بنحو الموجبة الجزئية.

ـ يوجد ترديد في كونها موجبة جزئية. فإذا مـا اعتـبرتم أن الـدنيا تمثـل بداية الخلود، وأن الخلود بعد الموت يمثل نهاية الـدنيا؛ فـستكون العلاقـة بـين الدنيا والآخرة كالعلاقة بين الجسم والروح أو كالعلاقة بين الظـاهر والبـاطن، وبالتالي لا تصدق عليها الموجبة الجزئية. وتطرح هذه المسألة أيـضاً في الطـب أيضاً؛ إذ لا يمكن أن نجد مرضاً يصيب الجـسم فقـط ولا يـؤثر علـى الحالـة النفسية والروحية؛ كما لا يمكن أن نجد مرضاً نفسياً دون أن يترك آثاراً علـى الجسم أيضاً.

وبالطبع فإن كثيراً من الأطباء يؤيدون هذه المسألة، كما يعتـرض عليهـا أطباء آخرون؛ أي أن العلاقة بين الروح والبدن أصبحت متلازمـة وعـضوية إلى درجة لا يمكن فيها تصور تأثير أو تأثر أحـدهما دون الآخـر. فـالأمراض النفسية والروحية تترك آثاراً جسمية، وكذلك الأمراض الجسمية تترك آثـاراً روحية ونفسية. وبالطبع فإني تطرقت إلى هذه المسألة كمثـال فقـط، وتعتمـد صحتها على رأي أهل الاختصاص فيها.

* بالطبع إذا ما نظرنا إلى القضية بنوع من المسامحة العرفية.

ـ لا يمكن الاستفادة من المسامحة العرفية في هذا الموضوع، فالطبيب لا يمكنه اللجوء إلى المسامحة العرفية في علاجه؛ لأن المريض نفسياً، يصاب ببعض الأضرار الجسمية، والمريض بدنياً، يصاب ببعض الأضرار النفسية أيضاً.

إذن نستنتج أن الشريعة تنظر إلى الدنيا والآخرة معاً؛ وبالتالي لن نجد في الإسلام شيئاً ذا مصلحة دنيوية فقط دون أن يكون له دور في الآخرة، أو نجد شيئاً ذا مصلحة أخروية دون أن يكون له تأثير في الدنيا؛ رغم أننا يمكن أن نجد مثل ذلك في الشرائع السابقة. ومن أهم المسائل الأخروية في الإسلام التي تمتلك في ظاهرها على الأقل، صبغة دنيوية، هي العبادات؛ والرواية المعروفة التي تنقل عن النبي ﷺ أن أخي موسي ينظر إلى الأمور بعين واحدة وأخي عيسي ينظر إليها بعين واحدة، في حين أني أنظر إليها بعينين؛ تدل على التلازم بين الدنيا والآخرة، وعدم إمكان تصور إحداهما دون الأخرى. وإذا ما نظرنا إلى هذا الموضوع بهذا الشكل، حينئذ لن يحصل التعارض حتى نبحث عن حلول لمعالجته، ثم نكتشف أن تشترك مع الغرب أم لا.

* نظراً لاختصاص هذا المؤتمر بشخصية الإمام قدس سره، فهل أن نظريته حول الحكومة هي مجرد نظرية فقهية، أم أنها تستند إلى الأصول الفلسفية التي يعتقد بها. وهل يمكن استنباط فلسفة سياسية ـ إسلامية من أفكار ونظريات الإمام؟

ـ إن عمل الإمام ونظرياته في الفقه، والفكر السياسي والفلسفة، نتج عنه فلسفة سياسية؛ أي في الحقيقة، أن وجود البعدين الأساسيين في فكر الإمام

بكونه أستاذاً بارزاً في الفلسفة وأستاذاً كبيراً، صاحب رأي في الفقه، قد أدى إلى ظهور هذه النتائج الواضحة. وقد عبرتم عن ذلك بالحكومة الإسلامية، لكنها في الحقيقة تتضمن بعدين أحدهما في الفلسفة السياسية والآخر فكراً سياسياً؛ ونحن نعتقد أن الفقه السياسي يمثل مجموعة من الفلسفة السياسية والفكر السياسي.

فالفقه السياسي هو الذي يتعامل مع المنهج العقلاني؛ أي أن الفلسفة السياسية تتعامل مع كل مما لا نص فيه، في حين يتعامل الفكر السياسي مع كل ما يستند إلى الكتاب والسنة، وبالتالي يكون مجال الفكر السياسي معتمداً بنحو ما على الفلسفة السياسية.

والأصل هو إمكانية الاستفادة من الوحي كأساس للفلسفة السياسية وليس أساساً للفكر السياسي لاحتمال وقوع الاختلاف فيه.

على كال حال، نتج عن معرفة الإمام ببعديها (الفلسفي والفقهي) عنصرين منفصلين: أحدهما الفلسفة السياسية التي تستمد أصولها من رؤيته نحو العَالَم، وهو الأصل الذي استندت عليه فلسفة الفلاسفة السابقين مثل الفارابي وأبو علي بن سينا والخواجة نصير الدين؛ إذ توصلوا إلى فلسفة وسياسة حديثة عن طريق بحثهم في الرؤية نحو العالم. والآخر هو الفكر السياسي عندما طرح الإمام في الفقه مسألة ولاية الفقيه؛ وعليه كان عمل الإمام وفكره، يظهر في صورتين مستندتين إلى أصلين ومنشأين مختلفين؛ والآن نسأل أيهما أكثر تأثير في تكوين النظام وتأسيسه؟

فإذا كنتم تقصدون بالحكومة، المفهوم العام والهيكلي للقضية؛ أي ما هو واقع وموجود فعلاً؛ فإن المؤثر في هذه الحالة حتماً هو الفكر السياسي والفقه السياسي.

البعد الآخر الذي لم تتطرقوا إليه في سؤالكم هو البعد العرفاني، حيث كان الإمام يستفيد من العرفان في المجال الفقهي؛ أي في البعد الفلسفي استفاد من رؤيته نحو العالَم للوصول إلى نظرية تحتم أن تستند فيها الحكومة إلى الوحي؛ أما في الشريعة فتنتقل الحكومة بعد الوحي إلى مرحلة الإمامة ثم إلى ولاية الفقيه في زمان الغيبة، وبالتالي امتزج البعد العرفاني للإمام مع بعده الفقهي.

إني اعتقد أن ولي الفقيه الذي جاء ذكره بصورة جافة في الدستور بأنه من الناحية الفقهية هو الفقيه العادل الجامع للشرائط، وتشمل اختياراته ومسؤولياته الأحكام الأولية والأحكام الثانوية والأحكام الحكومتية؛ يتضمن أيضاً معناً جوهرياً في ذاته وهو تلك الجاذبية المعنوية للإمامة في المرحلتين؛ أي إمامة المعصوم وإمامة الفقيه العادل، لكنها بالطبع لم تسنح لها الفرصة للظهور في زمان الإمام ﵀.

وهذا واضح من كلام الإمام في أواخر أيام عمره الشريف، بأنه لم يجد الفرصة الكافية للحديث عن أمور كثيرة؛ وعليه ينفصل الإمام في مرحلة الفكر السياسي عن فلسفته السياسية، لكن العرفان يظهر بصورة ضعيفة في البعد الفقهي للمسألة، وهذا ما يمكن أن نلمسه بوضوح في كلام الإمام ومؤلفاته.

* ما هو تأثيرها العملي؟

ـ التأثير العملي لهذه الجاذبية المعنوية للإمام: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾[1]. فيما يتعلق بولاية الفقيه، يقول البعض: إن المراد بها هو ولاية القصّر، لأن الإنسان العاقل لا يحتاج للولاية. لكن لو ناقش هذه المسألة في بعدها العرفاني، فإن الإنسان يحتاج دائماً إلى من يأخذ بيده إلى طريق الهداية؛ أي أن المسألة أعمق من هذا التبسيط لأنها ترتبط بإنسان ضال تائه يحتاج إلى من يرشده إلى الطريق الصحيح؛ إذ أن المسألة لا تقتصر على السياسة والاقتصاد والثقافة؛ بل تهتم أيضاً بالأبعاد المعنوية للإنسان.

إذن، لابد أن يمتلك الإمام جاذبية خاصة كالمغناطيس تجذب إليه الناس والأفئدة، ويرتبط به تلامذته والآخرون بحيث لا ينظرون إليه كمجرد استاذ، بل يعتبرونه فيلسوفاً فقيهاً وقائداً وزعيماً يستحق الإتباع والإطاعة. فتقليدهم له ليس مجرد تقليد فقهي؛ بل هو إتباع وإطاعة للوصول إلى مراحل الارتقاء المعنوي. وقد أشار الإمام بوضوح إلى هذه النقاط في تفسيره لسورة الحمد.

فالإمام يجب أن يتمتع بجاذبية معنوية، بغض النظر عن قدرته السياسية. وطرح هذه المسائل بهذا الشكل سيجيب عن كثير من المسائل السياسية الأخرى. فعندما نجد إنساناً قوياً يجذب خلفه كالمغناطيس إنساناً ضعيفاً، عندها نستطيع أن نطرح عليه ما نريد من مفاهيم كالحرية والمساواة. وهذه المسألة نجدها بوضوح في عالم التجربة بمفهومها الفيزيائي، إذ عندما يسحب المحرك أجزاء السيارة، فلا معنى حينئذ لقولنا أن المحرك فلزي وأجزاء السيارة

---

(١) سورة لقمان، الآية: ٢٤.

فلزية أيضاً، فكيف يمكن لهذا المحرك أن يسحب أجزاء السيارة وليس العكس؟ ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ بحث كثيرٌ من المفسرين في أن (أمرنا) هل هو أمر تشريعي أم تكويني؟

الأمر هو هذه الجاذبية المعنوية للإمام، وفصل المسائل السياسية عنها يؤدي إلى الكارثة؛ إذ حينها سيقال: لماذا تتولون عنا الأمور فهل أنا قاصر؟ أوليس لي عقل؟ وهل احتاج إلى ولي؟ أنا أيضاً أفهم الأمور جيداً!.

لكن إذا ما أضفنا المسائل العرفانية والجاذبية المعنوية لهذه الأمور، عندها سيدرك الجميع في وجدانهم أن الإنسان ينجذب حتماً إلى النور والعلم.

توجد بعض المسائل التي ينجذب إليها الإنسان فطرياً وبصورة حقيقية، وهي أهم من المسائل والنظريات السياسية؛ لكن إذا ما أضفنا البعد العرفاني للإمام، إلى فكره السياسي، فإن ذلك سيؤدي إلى حل الكثير من المشاكل. الإمام يقول هذا الأمر، وهو يمثل نموذجاً له ولم يفصل أبداً ذلك البعد المعنوي عن بعده السياسي؛ لكن على كل حال لم يتم تحقيق نظرية الإمام بشكل كامل. فالولي الفقيه لا يمكنه الأخذ بيد الإنسان، لكي تقولوا إنها الحرية! لا أريد أن آتي معك! أناحر! لأن الولي الفقيه عندما يعين طريق الحركة، عندئذ لا تسمح لكم الجاذبية المعنوية بالتوقف، فالجاذبية هي التي تسحبكم معها، ولا دخل للحرية في هذه المسألة.

إنّ الكثير من النظريات السياسية هي مشاكل سرت إلينا من الفكر الغربي، وتطرح في المجتمع بدون الفرضيات الموجودة عندنا، في حين أنهم لا يعتقدون بالجاذبية المعنوية عند الإمام، أو أنهم لا يشعرون بوجودها. وإذا ما

طرحتم نظرية ولاية الفقيه بدون السلطة المعنوية والسلطة الإلهية، فستظهر حينها الكثير من المشاكل أيضاً؛ لكن السلطة المعنوية هي فرضية مسبقة في نظرية الإمام، وقد ذكر في (تحرير الوسيلة) أن أحد شرائط المرجع هو (أن لا يكون مكباً على الدنيا) وهو أمر يفوق العدالة. لقد كنت في فترة ما، أفكر بمدى اهتمام الإمام بنهج البلاغة، وتأملت في هذا الأمر لفترة، حتى وجدت أن كلام الإمام هو تطبيق لما جاء في نهج البلاغة.

ولحسن الحظ كان نهج البلاغة يتضمن الكثير من المسائل الحكومية؛ بل أن السيد الرضي قد جمع من الخطب والكلام ما يبحث ٨٠٪ منه في المسائل الحكومية، وقد طرحها الإمام بما يتلائم مع لغة العصر حتى تتمكن جميع طبقات المجتمع من فهمها. وعلى هذا الأساس، عندما انفصلت سيرة أمير المؤمنين عن المعنوية، عارضه الخوارج والقاسطين والمارقين ووقفوا بوجهه. ففصل الإمامة عن الجاذبية ستؤدي إلى شهادة أمير المؤمنين، وتولي الإمام الحسن منصب الإمامة لفترة قصيرة، ثم يتنازل عن الخلافة.

* ما هي المؤلفات التي تركها الإمام فيما يتعلق بالعرفان العملي؟

ـ لعله نتمكن أن نجد أكثر الوصايا التي تطرّق لها الإمام في هذا المجال في حاشيته على فصوص الحكم وهو كتاب مطبوع أيضاً. إنّ الولاية التي يعتقد بها الشيعة أوسع من الولاية السياسية، لكنها في الإمام شيء، وفي الفقيه الجامع للشرائط شيء آخر. وفي المصادر العرفانية للإمام، علينا مراجعة البحوث العرفانية الصرفة، كما هو ظاهر بوضوح في تفسيره لسورة الحمد.

كما أشار إلى ذلك أيضاً في بحوثه الفقهية في (كتاب البيع)، إضافة إلى كتاب (أسرار الصلاة) الذي يعتبر من كتب الإمام العرفانية.

* هل يمكن في هذه الكتب البحث عن العرفان السياسي؟

- لا إشكال في هذا الاصطلاح الذي عبرتم عنه بالعرفان السياسي وهو شيء جيد، لكن الظاهر عدم وجود أيّ فرق بين العرفان السياسي والعرفان غير السياسي، سوى أن مجال العرفان واسع فيشمل السياسة أيضاً. وعندما نطرح ولاية الفقيه ببعديها السياسي والعرفاني معاً، فإنه سيؤدي إلى حل الكثير من المشاكل. فالكثير من المشاكل ناشئة عن مسائل، مثل: الحرية والمشاركة السياسية والمساواة، إضافة إلى مشاكل أخرى ترتبط بولاية الفقيه، مثل: انحصار القدرة السياسية بيد النخب وغيرها من المشاكل التي تنشأ من خلال الفرضيات المسبقة والتصورات التي نحملها عن الفكر والنظريات الغربية؛ لكننا إذا ما مزجنا هذه المشاكل بالمسائل العرفانية، فإنها ستتغير تلقائياً إلى شكل آخر.

فأنتم تعلمون أن الكثير من المفكرين سعوا أخيراً إلى تطبيق مسألة ولاية الفقيه على بعض الأفكار والنظريات الغربية المرتبطة بزعامة النخب، وهذا حسب الظاهر نوع من التحريف للمسألة؛ لأنها لم تهتم بالجانب المعنوي للفقيه الجامع للشرائط؛ في حين أن الكثير من المسائل تقتضي التجزئة والتحليل بالاستناد إلى بعض الفرضيات المسلّمة.

* أي أنكم تعتبرون العرفان أحد شروط الفقيه الجامع للشرائط؟.

ـ نعم، هذا هو معنى (أن لا يكون مكبّاً على الدنيا). إنّ لهذه العبارة بعداً واسعاً جداً، لذلك عندما ذكرنا هذه المسألة في الدستور، لم نعنِ بالعدالة، عدالة إمام الجماعة؛ بل قصدنا عدالة خاصة تليق بقائد الثورة الإسلامية. ولهذا أعتقدُ أن كثيراً من المسائل السياسية يمكن أن تُحَمل بوضع بعض الفرضيات الصحيحة؛ فالمجتمع إذا ما قيل بالرؤية الإسلامية نحو العالَم، حينئذ يمكن أن تتحقق فيه الحكومة الإسلامية القائمة على الفكر السياسي لولاية الفقيه؛ لكن لا يمكن تحققها أو طرحها في دولة أخرى كاليابان مثلاً. وهذا الأمر هو ما يقلقنا دائماً في هذا الموضوع، حيث يقول البعض: قد يأتي زمان يفقد الناس فيه رغبتهم في الإسلام؛ وهذا في الواقع هو تحريف للبحث والموضوع؛ لأن مجال الحكومة الإسلامية هو (لولا حضور الحاضر).

إذن، يكون البعد العرفاني أحد الفرضيات الصحيحة لمسألة الفكر السياسي للإمام فيما يتعلق بولاية الفقيه. والعبارة المنقولة عن الشهيد الصدر[1]: (ذوبوا في الإمام الخميني كما ذاب هو في الإسلام) تشير إلى هذا البعد العرفاني للمسألة. فالذوبان أو الإطاعة أو أي شيء آخر، هي في الواقع تعابير مختلفة لحقيقة واحدة.

* لقد أشرتم أن البعض يفسر نظرية الإمام باعتمادها على النخب، وهذا أمر طبيعي نظراً لتأثير نظرية أفلاطون على الفلسفة الإسلامية، إذ أن ذلك يجعل البعض يتصور أن الفقيه الحاكم قد يمثل نفس الحاكم الأفلاطوني لكن بتعبير فقهي جديد.

---

(١) آية الله الشهيد السيد محمد باقر الصدر قدس سره.

ـ وما الإشكال في ذلك. الفيلسوف بالمفهوم الأفلاطوني، هو فيلسوف نظري وفيلسوف عملي أيضاً؛ لأن الحكمة والفلسفة التي يقول بها تتضمن ستة عناصر أحدها (سياسة المدن). لكن علينا أن ندرك أن سياسة المدن هنا تستند إلى الوحي مع فرض أن الفقيه هو الشخص الذي يستمد من الشريعة رؤيته نحو العالَم واجتهاده وحكمته العملية. أما إذا فصلنا نظرية أفلاطون عن هذا الفرض، عندها يصبح الفيلسوف فيلسوفاً يؤمن فقط بالعقل النظري العلماني والحكمة العملية المنكرة لوجود الله؛ وبالتالي تصبح هذه النظرية مخالفة لنظرية الإمام وتقع في النقطة المقابلة لها.

* أي يتشابها من الناحية الصورية؟

ـ نعم، ولكن بالفرضيات الخاصة بها.

* في هذه الصورة توجد فرضيات خاصة لنظريات أفلاطون، إذ يعتقد أن بعض الناس لا يمكنهم ذاتاً أن يصبحوا فلاسفة، لذا فهم مضطرون للتقليد من ولادتهم حتى مماتهم، فنظراً لوجود التفاضل وعدم المساواة بين البعض في الفلسفة الإسلامية، هل يعتقد الإمام بمثيل هذا الرأي، وينظر إلى الناس بصورة غير متساوية؟

ـ القرآن يقول ذلك أيضاً: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ...﴾[1] أو ﴿وَاللّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ على بَعْضٍ﴾[2]، و﴿بِمَا فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ على بَعْضٍ﴾[3].

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٣.
(٢) سورة النحل، الآية: ٧١.
(٣) سورة النساء، الآية: ٣٤.

* هذا من الناحية العقائدية، فهل هي كذلك من الناحية الذاتية؟

ـ نعم، وهل يوجد من ينكر وجود التفاوت في القابليات والكفاءات بين الناس؟! فإنّ انعقاد نطفة الإنسان وولادته وحياته تحصل في ظروف متفاوتة أيضاً.

* أي ظروفهم تتفاوت أم يتفاوتون في ذواتهم؟

ـ نحن نعتقد أن ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾[1] أي أن الفطرة الإنسانية فطرة كاملة سوى أنهم (يهودانه أو ينصرانه) لذا ينبغي البحث عن التفاوت بين الناس في فكر الإمام، لكن يمكن أن تستنبط من صريح القرآن الكريم والروايات الإسلامية أن الإمام يعتقد أيضاً بأن الفطرة الإنسانية هي فطرة واحدة طاهرة، لكنها تخلق أناساً مختلفين تبعاً لاختلاف ظروفهم.

* مثلاً إذا بدأنا من الأصول والأعراق، هل يكون العرق اليوناني هو الأفضل؟

ـ كلا، العرق اليوناني يختلف أيضاً، وإني اعتقد أن أفلاطون كان يقصد ذلك في ظل ظروف مختلفة.

* نجد في بعض الكلمات أن البعض يولد وذاته من ذهب.

ـ هذا يعود إلى العناصر الجينية وإلاّ لا فرق في ذات الإنسان، أي تنمو النطفة في ظل الظروف التي يعيشها الوالدين من التغذية وغيرها؛ وبالتالي إذا ما أخذنا الآثار الجينية بنظر الاعتبار عندها ستختلف ذات الإنسان تبعاً

---

(١) سورة الروم، الآية: ٣٠.

لاختلاف الظروف الجينية التي يعيشها. وتوجد نظرية، تدعي أن الإنسان إذا ما تمكن من تحسين عرقه، بأن يتخلص من جميع الجينيات السلبية والاستفادة من الجينات الجيدة، عندها من المحتمل أن يصبح جميع الناس بشكل واحد. وبالطبع فإن العصمة لا تتنافى مع هذا الرأي؛ بل لعل الله كان يعرف مسبقاً الظروف التي تساعد الإنسان على تجنب الخطأ في الرأي والعمل. وبغض النظر عن العصمة فإن ذات الإنسان وفطرته في مرتبة واحدة، لكن العوامل الثانوية هي التي تجذب الإنسان إلى هذا الطرف أو ذاك. أي، علينا التأمل قليلاً في نظرية افلاطون، ونرى هل كان يقصد في نظريته الذاتي، وهو ما نطلق عليه اصطلاح (الفطرة)، أم يقصد بالذات الوجود الخارجي له؟ نعم، إن الوجود الخارجي يختلف تبعاً لاختلاف الظروف المحيطة به، لكن من البعيد جداً أنه يرى اختلاف الذات بمعنى الفطرة. وبالطبع فإن المعتقدين بالتمييز العنصري يرون أن الأعراق تختلف ذاتاً عن بعضها فيقولون بالاختلاف الذاتي بين العرق الأسود والأبيض والملون.

* إذا ما أردنا فصل الحكومة عن المعايير الفقهية، وبحثنا فيها بحثاً فلسفياً صرفاً، فبرأيكم ما هو المعيار الفلسفي في فكر الإمام الذي استند عليه لتقسيم الحكومات إلى مطلوبة ومنحرفة؟

ـ إن المقياس في تعيين اعتدال الحكومات أو مطلوبيتها واستقامتها هو وفاؤها والتزامها بالشريعة من جهة والسعي لتحقيق المصالح العامة من جهة أخرى. وكلما قلّت الفاصلة بين القولين كانت الحكومات أفضل وأسلم، وكلما ازدادت الفاصلة بينهما أصبحت موضع النقاش أكثر.

* برأيكم هل يوجد تفاوت بين حكومة ملكية مقتدرة أو حكومة ديمقراطية تطبق الشريعة جيداً، وبين الحكومة التي يديرها الفقيه؟

ـ في هذه الأنواع الثلاثة التي ذكرتموها للحكومة، نجد أن الحكومة التي تقوم على النظام الملكي الدستوري الوراثي، تعجز عن تطبيق الشريعة في المجتمع الذي تحكمه.

* كيف لا يمكنها ذلك؟

ـ لأن المَلِك لا يَملِك حق الحكومة، والملك بمعنى السلطان المطلق الذي يتولى إدارة السلطات الثلاثة معاً، هو طاغوت بمعنى الكلمة.

* ماذا لو كان سلطاناً مأذوناً من قبل الفقيه؟

ـ في السلطان المؤذون، أدخلتم دور الفقيه. فالنظام الملكي الذي تكون فيه السلطة مطلقة استبدادية بيد الملك ـ وليس ملكية دستورية بحيث يسن الشعب القوانين ويقع تطبيقها على الملك ـ هو نظام لا يتلائم أبداً مع الشريعة، فالشريعة لم تمنح الملك حتى هذه الولاية التنفيذية. وأنتم إذا ما تصورتم نظاماً ملكياً مشروطاً، فإن المعيار في كون الشخص ملكاً أنه يولد من ملك، وهذا يتناقض مع الشريعة الإسلامية.

وإذا تتذكرون فإننا في زمن النظام السابق كنا نعترض حتى على أعماله الحسنة، كنا نقول لها حسن فعلي لكن لها قبح فاعلي؛ أي أن هذا العمل حسن لكن لماذا تقوم به أنت؟ وهكذا الحال بالنسبة للحكومة الديمقراطية، فإنها تكون طاغوتية، إذا ما عارضها الفقيه، رغم تأييد غالبية الرأي العام لها؛ لأن

حكومة الأقلية العلمانية على الأكثرية الموحدة والمسلمة، لن تصبح حكومة إسلامية استناداً على الأصل الفقهي ﴿وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾.[1]

إذن، على ضوء هذا الفرض يمكن مناقشة الصور الثلاثة التي ذكرتموها.

* أي أنكم وبشكل عام تطبقون معيار الشريعة على شكل الحكومة؟

ـ بالطبع كذلك؛ أي أن القانون والرأي العام إذا لم يطابقا أصول الشريعة، فإن الحكومة لن تكون إسلامية ـ شئنا أم أبينا. لكن يمكن أن يطرح هذا الموضوع على ضوء نظرية المرحوم النائيني[2] التي تجيز ذلك عند الضرورة لدفع الأفسد بالفاسد، وليس على أساس ولاية الفقيه لأن المسألة تصبح بشكل آخر. لذلك سعي كثير من العلماء إلى إصلاح الحكومة والضغط عليها لإصلاح مسيرتها، بدلاً من الثورة عليها خاصة إذا كان البديل عنها أفسد منها؛ مثلاً يُنقَل عن السيد البروجردي[3] أنه كان يرى أن إزالة هذا النظام سيؤدي إلى سيطرة الشيوعيين على الحكم وهم يؤمنون باجتثاث الدين من المجتمع. والظاهر أنه لا يمكن طرح مسألة دفع الأفسد بالفاسد في مجال الفكر السياسي؛ لأن ذلك يدخل ضمن مسألة الضرورة والاضطرار والتقية.

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٤١.

(٢) محمد حسين بن عبد الرحيم بن محمد سعيد بن عبد الرحيم النائيني النجفي، من أعلام الإمامية، وأحد كبار مراجع التقليد والفتيى (١٢٧٧ـ ١٣٥٥ هـ).

(٣) حسين بن علي بن أحمد بن علي نقي بن جواد بن مرتضى الطباطبائي الحسني، البروجردي، نزيل قم (١٢٩٢ـ ١٣٨٠ هـ).

* هل يمكن طرح هذا التقسيم على أساس (ولاية الفقيه)؟

ـ الظاهر أن ولاية الفقه، معنى جديد وليس لها أصل معين، إذ توجد في ولاية الفقيه سلسلة من مراتب الولاية تنتهي بشخص معين: ﴿اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ..﴾[1]؛ ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾[2]؛ (من كنت مولاه فهذا علي مولاه)، لكن كيف يمكن وضع هذه السلسلة من المراتب في ولاية الفقيه؟ إذا عبرتم عن ولاية (القانون الإلهي) و(ولاية الشريعة) باصطلاح ولاية الفقه؛ وفي هذه الحالة لا يمكن نسبة القدرة السياسية إلى القانون؛ أي إذا قلتم أن القانون هو الحاكم فهذا تعبير سياسي خاطئ؛ لأن إرادة الشعب هي الحاكمة، بينما يمثل القانون مظهراً لهذه الإرادة، على كل حال، اصطلاح ولاية الفقيه يحتاج إلى سند ودليل خاص.

* هل يمكن القول أن ما يهدف إليه الإسلام، هو تطبيق الأحكام التي تصدر عن المراجع، وهذا ما نطلق عليه باصطلاح ولاية الفقه؟

ـ هذا يخالف الأصول العقائدية، لأننا نؤمن بالوحي وبالنبي أيضاً، وكلاهما أي القانون والمنفذ له من الله. وهذا ما يؤيده حديث الثقلين: (كتاب الله وعترتي)؛ لذا يجب التأمل قليلاً، أنه هل يوجد مثل هذا التعبير في الروايات الإسلامية؟ مثلاً الإمام الحسين عليه السلام كان مستعداً للشهادة في سبيل إحياء الشريعة، فهل يمكن القول: إذن، إحياء الشريعة أسمي من الإمام، ومن اللائق أن يستشهد الإمام في سبيل إحياء الشريعة؟ ومن هذه القرائن يمكن

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٧.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٦.

استنباط بعض الأصول، لكن في الروايات التي تحدثت عن ولاية الإمامة والحكومة، لم نجد فيها ما يشير إلى تعبير الشريعة بدون المنفذ والمطبق لها.

* ليس لدينا منفذ معين.

- النبي والإمام منفذان معينان، أما الفقيه الجامع للشرائط فهو منفذ عام.

* لو نحدد الأمر بالمراقبة والإشراف، فالمفهوم هو ولاية الفقه وليس ولاية الفقيه.

- لماذا نقول فقيه ولا نذكر الاسم؟ بدلاً عن زيد، نقول الولاية الفقهية.

* أليس من الأفضل أن نذكر المنهج الذي يمكنه تطبيق الأحكام الإسلامية أفضل من المناهج الأخرى، لا أن نقول حاكمية الفقيه.

- إذا ما استعملنا كلمة الفقه بدلاً عن الفقيه، فإننا في الواقع سنصل إلى نوع من الشمولية السياسية؛ أي يمكن الاستفادة من نماذج مختلفة في ظل ظروف مختلفة. لكننا لا نجد مثل هذا الأمر في الشريعة الإسلامية؛ إذ لا يمكن أن تتحقق حكومة الوحي من دون النبي والقانون من دون الإمام، حيث أن (مجاري الأمور بيد العلماء) وأمثال ذلك القانون يكون مساوياً لمنفذ القانون.

إنَّ نظرية الفصل بين السلطات تستمد أصولها من المفاهيم الإسلامية؛ أي الوحي مع النبي والفقه مع الفقيه.

وبالطبع فإن الفقيه يوجد الفقه بمعنى الاستنباط، لكنه لا يوجد الشريعة، كما أن الشريعة لا توجد الفقيه، فكلاهما مستقلان. كذلك الوحي لا يوجد النبي، كما أن النبي لا يوجد الوحي. وأنا لا أنفي هذا الأمر مطلقاً، إذ يمكن أن

نجد إشارات له عند مراجعة الروايات الإسلامية، لكن صريح حديث الثقلين وأمثاله يؤيد كونهما متوازيين.

* برأيكم ما مدى ملائمة النظريات والأفكار السياسية للإمام مع النظريات الديمقراطية؟

ـ كان هذا الموضوع يمثل السؤال الأساسي للثورة الإسلامية والفكر السياسي للإمام. أني اعتقد أن آراء الإمام تعتمد على الشعب، لكن ليس الشعب بصورة مطلقة، بل الشعب الذي تربى على يد الفقيه، والشعب المؤمن بالله، والمتمسك بالشريعة والإسلام (الديمقراطية بإشراف الفقيه). كما نجد أن الإمام قد استفاد كثيراً في كلامه من اصطلاحات: (الله والقرآن، والشعب)، لكن ليس مطلق الشعب؛ بل الشعب الذي تربى على يد الفقيه، فماذا تطلقون على هذه الديمقراطية انها ديمقراطية الإمام؟.

إنّ هذا الشعب الملتزم هو المحور الذي يوجد كل شيء، يوجد الثورة والنظام، ويوصل الفقيه إلى حكومة المطلقة؛ لكن ماذا لو لم تتمكن ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾[1] من هداية الناس وتربيتهم؟

* هل أنتم تعتقدون أن الإمام قد ربى هذا الشعب؟

ـ نعم كان الأمر كذلك، فنحن لازلنا نتذكر أحداث الثورة وما زالت صورها تترى أمام أعيننا. فالإمام هو الذي ربّي هذا الشعب، فقد كنا نرى نساءاً بحجاب سيء يشتركن في المظاهرات ويهتفن نريد حكومة إسلامية؛ بل

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٧٣.

حتى بعض رجال النظام السابق ندموا على أعمالهم وأصبحوا يؤيدون هذه الثورة.

* وهل نمتلك مثل هذا الشعب؟

ـ إن هذا بحث مستقل، أن نقول كم في المئة مازلنا نمتلك من هذا الشعب حتى الآن، وكم في المئة فقدنا منه، ولماذا فقدنا ذلك، هل بسبب زوال جاذبية الإمامة أم بسبب المؤامرات المختلفة؟ إن هذا البحث يتطلب تحليلاً مستقلاً، وهو لا يختص بهذا الزمان؛ بل كانت توجد بعض المعارضة حتى في زمان الإمام.

* لعل هذا الموج العظيم من المظاهرات والنزول إلى الشوارع كان بسبب إدراك الإمام لمطالب الشعب واحتياجاته وبسبب حب الشعب للإمام. وهذا التحليل يناقض تقريباً تحليلكم.

ـ لاشك في أن الشعب كان يحب الإمام، ومتأثر بجاذبية إمامته.

* إن إيمان الإمام بقدرة الشعب جعلته يدرك مطالبه واحتياجاته فيطرحها ويطالب بها؛ أي أن الإمام سعي إلى التقرب بنفسه من الشعب والتلائم مع مطالبه، لا أن الشعب هو الذي تلائم مع أهداف الإمام.

ـ إن الإمام كان يدعو منذ البداية إلى تطبيق أحكام الإسلام، ولم يعترض على الشاه إلاّ لمخالفته هذه الأحكام.

* وهذا ما كان يريده الشعب.

ـ هل لديكم دليل على ذلك؟

* لأن الشعب كان مسلماً فمن الطبيعي أن يريد ذلك.

- لقد تمكن الإمام من تركيز الإرادة الإسلامية - الإيمانية للشعب وتحويلها إلى قدرة سياسية؛ لكن هذه القدرة السياسية كان يسيطر عليها شخص واحد، وبذلك تحقق معنا إمامته التي تشير إليها الآية: ﴿يهدون بأمرنا﴾. والآن، لا إشكال في قولكم أن الإمام كان يقول كل ما يريده الشعب، فهذا أسلوب للجذب لكنه لم يخدعهم؛ أي كان يقول أولاً ما يريده الشعب ثم يقول شيئاً آخراً؛ حتى أنكم رأيتم أن بعض الأحزاب والمنظمات قد تأثروا بالإمام، وكان المنافقون يقولون: إننا أول من أطلق لقب الإمام على الإمام - الآن نحن نشك في ذلك - وكان إطلاق لقب الإمام من قبل المنافقين في مقدمة عناوين صحيفة المجاهد، بل كانوا يطلقون العديد من الشعارات في كل عدد منها. كذلك حزب الشعب (توده) كان يؤيد القيادة السياسية للإمام.

النقطة السياسية المهمة جداً والعجيبة أن أحداً لم يدع طيلة مراحل الثورة قيادته لها، رغم أن مثل ذلك قد حصل حتى في زمان النبي بظهور شخصيات أمثال مسيلمة الكذاب؛ نعم طالب البعض بحصة ومكاسب لكنهم لم يدعوا أبداً قيادة الثورة.

إذن، ما افترضته لا يتعارض مع ما قلته أنا سوى أنه يبين أحد الأساليب التي جعلت الشعب يؤيد الإمام ويلتف حوله، وهو أن الإمام كان يعبّر عما في قلوب الناس.

* لكن في كثير من الأحيان كان الإمام يسعى للتأقلم مع الشعب؛ فمثلاً في الانتخابات الأولى لاختيار رئيس الجمهورية؛ ورغم أن الإمام لم يصوت في

ذلك اليوم لبني صدر لكنه وافق على الأخذ برأي الشعب، وعهد إلى بني صدر منصب القائد العام للقوات المسلحة ورئاسة شورى الثورة.

ـ فيما يتعلق ببني صدر، أن الإمام كان لا يزال يأمل في إنقاذه من هذه الجراثيم لكن بني صدر وقع ضحيتها. وبالطبع كان الإمام يرى في تلك المرحلة بضرورة عدم تولي رجل الدين منصب رئاسة الجمهورية؛ وإلا لم يكن بني صدر يستطيع الوصول إلى هذا المنصب مع وجود شخصيات بارزة كالشهيد بهشتي وأمثاله. وفي الواقع، أن الإمام كان لا يرغب في أن يُقال أن رجال الدين قد سيطروا على كل شيء.

* وهذا أيضاً يعتبر من الناحية العملية نوعاً من التأقلم والتلائم مع رأي الشعب.

ـ نعم كان هذا رأي الشعب، لكن الإمام أيضاً كان يرى أن المصلحة تقتضي ذلك.

* هل كان الإمام يرى أن المصلحة تقتضي أن يكون مع الشعب لا أن يكون الشعب معه، وأن الواجب يقتضي في مثل هذه الموارد احترام رأي الشعب؟

ـ أشك في ذلك. ليس لدينا الآن إحصائيات عما إذا كان الشعب سيعترض على انتخاب الشهيد بهشتي مثلاً رئيساً للجمهورية.

إنّ الإمام كان يرى أن المصلحة تقتضي السير بهذا النهج ويستمر ذلك في المستقبل أيضاً، ولم يكن ذلك لمجرد أن الشعب كان يريد هذا النهج؛ بل أن

الشعب انتخب بني صدر وصوت له أحد عشر مليوناً لأجل الإمام تأييداً له، وإلاّ لم تكن شعبية بني صدر بذلك الحجم، إنما كانت جاذبية الإمام هي السبب في تأييد الناس لبني صدر والسبب في تخليهم عنه، فالإمام هو الذي ربى هذا الشعب وأثر عليه بهذا الشكل.

بل إن تهمة غسل الأدمغة التي يطلقها المحللون الغربيون هي نفس هذه الجاذبية عند الإمام، سوى أننا سنستعمل اصطلاحاً مناسباً للتعبير عنها فنقول جاذبية الإمامة والجاذبية المعنوية، في حين إنهم يضعون عليها صبغة مادية لعدم اعتقادهم بها فيعبرون عنها بغسل الأدمغة. لكن إذا ما تصورتم هذا العشق للشهادة أو بتعبير من لا يعتقد بالمعاد العشق للموت عند شاب صغير في فترة الدفاع المقدس، فهل يمكن أن يحصل ذلك بدون تربية معنوية؟!

ولم يكن ذلك مقتصراً على الشباب في فيالق التعبئة، بل نجد هذه الصبغة والحالة المعنوية حتى عند الأطباء الشباب، الذين كانوا يتحلون بالإيمان والتدين أكثر مني ومنك، رغم أن شريحة الأطباء معروفة بابتعادها عن الدين؛ والسبب في ذلك كان، تربية الإمام وتأثيره عليهم.

في الواقع، لم يكن الإمام تابعاً للشعب، بل أنه ربى الشعب بالشكل الذي جعلهم يحبونه إلى أقصي حد، فما كان الإمام حتى ليبدأ بالبكاء ليجهش الجميع بالبكاء.

من النقاط الخفية التي كانت تميز الأسلوب الذي اتبعه الإمام في حديثه وكلامه، أنه لم يشتك أبداً من الشعب رغم الإشتباهات التي حصلت منه. حتى

أمير المؤمنين عليه السلام اشتكي كثيراً من أهل الكوفة؛ بل وكان مستعداً لاستبدال كل عشرة منهم بواحد من أنصاره، لكن الإمام لم يفعل ذلك ولعل الأمر يعود إلى المسائل العرفانية في هذه القضية.

فالإمام في وقت الأزمات كان يلغي برامج الزيارات وأحياناً كان يغيب عن الأنظار لعدة أيام، فماذا كان يفعل الإمام؟! نحن لا نعلم! لأنها كانت تعود لارتباطاته المعنوية، ونحن لا نريد هنا أن نقول أنه كان يتصل بالإمام المهدي(عج) ويأخذ التعليمات منه؛ إذ أن الشخص القادر على تغيير الناس يحتاج إلى قدرة أكثر تمكنه من التغيير.

كذلك السيد الطالقاني كان يقول: كلما حضرنا عند الإمام كنا نستمد القوة والمعنوية منه. حتى قائد الثورة يحتاج إلى هذه القوة والمعنوية، فكيف تفسرون ذلك؟ هل كان الإمام يغيب للاستراحة مثلاً؟ أم أن المحيطين بالإمام كانوا يخفون عنه ما يحصل من أحداث؟! في حين أن الإمام كان يستمع إلى جميع التقارير التي تصل إليه بشكل مكثف. وهذا يفسر أن الإمام كان يغيب ليستمد القوة والمعنوية ويزيد من قدرته على التأثير. وعلى كل حال، إنّ هذه النقطة مهمة جداً، أن الإمام لم يشتك من الشعب ولو لمرة واحدة، رغم ضعف الشعب وتراجعه في كثير من المناطق كالفاو مثلاً.

النقطة الأخرى، أن الإمام كان شديد البصيرة في المسائل المختلفة.

أتذكر عندما كنا في النجف الأشرف سنة (١٩٦٩م)، لم يصدر الإمام لفترة معينة أي بيان أو إعلان، فترك هذا الأمر تأثيراً واسعاً بين الناس حتى

أن البعض ممن كان ينظر بسوء نيــة للأمــر، تــصور أن الإمــام اعتــزل الجهــاد والتزم بالتقية.

وتوالت ردود الأفعال والـضغوط الـشديدة مــن إيــران وغيرهــا علــى الإمام. وعندما طرحت عليه هذه المسألة، أجاب:

إنّ إصدار البيان أو الإعلان ليس بالشيء الهيّن حتى يستطيع المرء كتابــة أربعة بيانات كل يوم، وهل أن عدم إصدار بيان يعني انتهاء الثورة وأفولها؟

وكان الإمام دقيقاً جداً في إدراكــه للظــروف والأوضــاع المحيطــة بــه؛ إذ على الــسياسي أن يتمتــع بهــذه الـصفة. بغــض النظــر عــن قدرتــه الفقهيــة والعرفانية. فمثلاً لم يكن قد مضي على وصول الإمام إلى النجف عــدة أيــام، حتى استدعاني وطلب مني أن أنقل له كل ما يجري في النجف.

في البداية امتعضت من هذا الطلب كأني أتجسس مثلاً! لكن بعدها كنــت أحضر عنده كل يوم عصراً في وقت معين، وأدخل غرفته مباشرة، وأنقل له ما جرى في النجف ذلك اليوم، فمثلاً: ماذا قالوا عنكم وعن إيران؛ أي أن الإمــام كان على إطلاع بما كان يحــصل في النجــف، وبــالطبع كــان يوجــد أشخاصــاً آخرين غيري.

أتذكر أنه سألني ذات يوم، ماذا كانوا يقولون عني؟ قلت: يقولون أشــياء كثيرة مثل؛ لماذا عمامة السيد صغيرة، ولحيته قصيرة؟.

لقد كان الإمام يريد أن نخبره عن كل شيء، عندها تبسّم الإمام وســأل: وماذا قلتم؟ قلت: كنا نهتم بجميع الأخبار فقط ولم نكــن مــستعدين للإجابــة؛

فقال: قولوا لم يصبح مشركاً حتى الآن. على كل حال، أقصد ما كان يتمتع بـه الإمام من وقار وسياسة وذكاء.

لقد لاحظنا وقوع الكثير من الأحداث حسب ما توقع الإمام بدقة.

ففي الليلة التي ذهب فيها السيد الحكيم من النجف إلى بغداد والتي لم يعد بعدها ـ للاعتراض على سياسة حزب البعث في العراق، كان الإمام يتابع الأمر باضطراب شديد، ويصرّ على عدم خروج السيد من النجف؛ لأنه كان يتوقع عدم عودته بعدها. وإني أتذكر أن السيد الحكيم عندما سافر إلى بغداد للاعتراض على الحكومة أخبر جميع العشائر بسفره، فاجتمعت العشائر بسلاحها وخرجت في مظاهرات حاشدة وسط بغداد، مما أجبر الحكومة على التراجع في البداية، ثم عادت الحكومة وأغلقت جميع طرق الدخول والخروج من بغداد ونزعت سلاح العشائر، ثم أعدمت شيوخ العشائر واصطحبت السيد الحكيم تحت حراسة مشددة إلى أحد البيوت في بغداد. وبعدها دخلت العناصر الأمنية إلى غرفة السيد لتفتيشها بحجة أن ولده يعمل جاسوساً ضد الدولة، وكان هذا الأمر صعباً جداً على السيد.

فالإمام كان قلقاً جداً في تلك الليلة وسعي جاهداً من خلال رسائله إلى العديد من الشخصيات للحيلولة دون سفر السيد الحكيم إلى بغداد.

فكانت فراسة الإمام نعمة إلهية نفسرها من الناحية العرفانية، فنقول: (المؤمن ينظر بنور الله)، (مؤيد من عند الله). وسواء فسّرنا ذلك بكونه إمداداً غيبياً أو بتفسير سياسي عادي فنقول: إن من يريد قيادة ثورة أو نهضة عظيمة عليه أن يتسلح بصفات وخصائص معينة).

* عندما كان الإمام في طهران، كان يحرص على متابعة أخبار قم.

ـ ليس بالأمر البعيد؛ فمثلاً عندما كان في النجف الأشرف، كان يحضر لزيارته باستمرار عدد من الأشخاص الحقيقيين والحقوقيين، لكنه لم يلتق بشكل خاص مع أي مسؤول من الحكومة العراقية. وأتذكر أني ذهبت للقاء الإمام يوم الجمعة في كربلاء، فشاهدت عدد من السيارات الحكومية التي تحمل الأسلحة فوقها، كانت متوقفة أمام بيت الإمام، فعرفت أنهم جاءوا للقاء الإمام، فعندما دخلت البيت لم أرَ الإمام لكني رأيت الحاج الشيخ عبد العلي الأصفهاني، فلما راني قال: تفضل الإمام ينتظرك، فعندما دخلنا خرج الإمام فوراً لاستقبالنا حتى يحضر معه شخص واحد على الأقل، ليشهد على ما يقال في لقائه مع هؤلاء الأشخاص الثلاثة من حزب البعث.

كما حضر للقاء الإمام بعض أعضاء منظمة المنافقين ضمن وفد من اتحاد الجامعات في أمريكا وأوروبا، لكن الإمام كان يرفض اللقاءات الخاصة.

وعندما دخل الإمام، بدأ الأفراد الثلاثة من حزب البعث بالتملق فقالوا، الحمد لله كانت مراسم العزاء هذه السنة جيدة، وقد قامت الحكومة بتقديم التسهيلات اللازمة لها، وكانوا يتوقعون رد الإمام بأن يقول مثلاً: حسناً فعلتم، لكن الإمام فضل السكوت ولم يرد عليهم. فقالوا: لقد سرت الرطوبة إلى السرداب في مرقد أبي الفضل العباس عليه السلام، فقامت الحكومة بصيانته، لكن الإمام بقي ساكتاً أيضاً، فنظر رئيس الوفد إليَّ وقال ترجم له ما نقول، فأجبت: إنه يفهم كلامكم تماماً. فاستمروا بالكلام وقالوا: إن أحمد حسن

البكر سمع بمرضكم، فقلق عليكم وأمر بإرسال هيئة طبية لمعالجتكم، فإذا تسمحون نتصل ببغداد الليلة لإرسال هذه الهيئة إليكم.

فأراد الإمام قطع كلامهم فقال: (لا ما يحتاج)، ونهض بعدها مباشرة وانصرف بدون أن يودعهم أو حتى ينظر إليهم، رغم أنه كان تحت سلطتهم. وبعد انصرافهم عاد إلينا وجلس معي لفترة يسألني عن أحوالي، ثم ودعني وانصرف.

إنّ البعثيين كانوا أشد قسوة حتى من عناصر نظام الشاه، وكان من الممكن أن يؤذوا الإمام لكن الله حفظه من شرهم، ورغم ذلك لم يعبأ الإمام بهم فلم يجبهم ولم ينظر إليهم.

لقد كان الإمام يتحلي بصفات مميزة جداً. فمثلاً عندما أقام الإمام مراسم الفاتحة على روح السيد الحكيم في مسجد الهندي في النجف الأشرف، إمتلأ المسجد والسوق والشوارع بالناس، فجاء الخبر بوصول هيئة حكومية للمشاركة في هذه المراسم. فهرع الناس من الخوف وقام جميع من كان في المسجد حتى السيد الخوئي الذي كان جالساً قرب الإمام؛ لكن الإمام لم ينهض وبقي جالساً في مكانه مطئطاً رأسه إلى الأسفل. فدخلت هذه الهيئة التي ضمت عدداً من الوزراء والمسؤولين ووقفت أمام الإمام لتقديم التعازي، لكن الإمام بقي في مكانه ولم يرفع رأسه. فهذا الموقف يحتاج إلى التأمل من الناحية السياسية وحتى العاطفية!!

مرّ الوفد أمام الإمام وجلسوا في المسجد، وبعد أن نهضوا لمغادرة المسجد نهض الجميع وفتحوا الطريق لهم، لكن الإمام لم يرفع رأسه أيضاً؛ إذ لم يكن

يريد أن يستغل البعثيون معارضته للشاه لتحقيق مآربهم الخاصة لأنهم كانوا على خلاف مع الشاه أيضاً.

القضية الأخرى: إنّ الحكومة العراقية سعت إلى التقليل من احترام السيد الحكيم، فأرسلت وفداً للقاء جميع المراجع في النجف ومنهم السيد الخوئي والسيد الشاهرودي والإمام، لكنهم لم يذهبوا للقاء السيد الحكيم. وقد ألتقي بهم الإمام لكنه لم يتحدث معهم شيئاً في اللقاء، وفي اليوم التالي نشرت الصحف أن الحكومة أرسلت وفداً للقاء المراجع في النجف، الذين دعوا لسلامة أحمد حسن البكر، وكان هذا الأمر متعارفاً في جميع الدول، حتى الشاه كان يفعل ذلك في إيران.

لكن الإمام ما أن سمع بالخبر حتى امتعض بشدة وأرسل شخصين لمحافظ النجف ليبلغوه باللهجة العراقية أنه إذا لم تكذب جميع الصحف هذا الخبر فإني سأكذب الخبر في الصحف العالمية. فاضطر البعثيون إلى تكذيب الخبر وكتبوا في الصحف، أن اللقاء مع السيد الخميني لم يتطرق إلى الحديث عن أحمد حسن البكر، وأما بقية المراجع فلم يكذبوا الخبر.

* ما هي الوسائل التي كان الإمام يمتلكها لنشر مطالبه؟

ـ لقد كان كافياً أن يتحدث الإمام أو يرسل بياناً أو إعلاناً إلى سوريا أو إيران؛ إذ لم يكن النظام يعارض ذلك لأنه كان مخالفاً لإيران، لكننا لم نكن نعلم ماذا سيحدث. فالإمام عندما كان في العراق لم يتصدى لمعارضة النظام الحاكم بل كان يقول: إن وظيفتي هنا تختلف عن بقية المراجع، فالمرجع الأعلى

هنا هو السيد الحكيم، وأنا طالب ليس لدي أي مسؤولية، ولا يهمني إلاّ: معارضة النظام في إيران، وأظن أنهم يشعروا ببداية المعارضة والنضال ضد الشاه؛ لأن الشرطي في النجف كان يتمتع بسلطة تعادل سلطة الشاه، لكن مع ذلك كان الإمام يقف بوجوههم جميعاً. فالإمام كان يتميز بصفات خاصة جداً.

*من هم الأفراد الذين كان الإمام ينقل عنهم أكثر من غيرهم؟

ـ لا أتذكر أنه كان ينقل عن شخص معين في كلامه، لكن في درسه كان ينقل كثيراً عن المرحوم النائيني.

* هل كان الإمام يشترك في جلسات خاصة مع العلماء الآخرين؟

ـ كان الحاج مصطفي صديقاً لأبن السيد البجنوردي الذي كان إمام الجماعة في شارع (گرگان)، وقد كان ذلك سبباً لأن يأتي السيد حسن البجنوردي أحياناً للقاء الإمام؛ وأما في النجف فقد ابتعد الإمام عن المسائل العاطفية والأمور الشخصية.

«لو قام شخص ما بتفسير الأحكام بنحو لا يرضي الله، أو بإحداث بدعة بذريعة أن العدل الإسلامي يقتضي ذلك، أو بتنفيذ أحكام مخالفة للإسلام، فيجب على العلماء أن يبدوا معارضتهم له. فإذا لم يفعلوا، فإنهم ملعونون من الله تعالى، وهذا واضح من خلال الآية الشريفة ﴿لَوْلا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾[1] وفي الحديث (إذا ظهرت البدع في أمتي فليظهر العالم علمه وإن لم يفعل فعليه لعنة الله)»[2].

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٣.
(٢) أصول الكافي ج ١ ص ٥٤.

العالم الإسلامي: المشكلة والعلاج في نظر الإمام قدس سره

لو تلمسنا معالم وجهة نظر الإمام الخميني الراحل رضوان الله عليه حول العالم الإسلامي، أهميته، أمراضه، مشاكله، تحسين وضعه، استقلاله... إلى غير ذلك. وأخذنا في تصفح كلماته الربانية، إذ بنا نرى خطاباً قد أورده في أوائل الستينات الميلادية حول هذا الموضوع نفسه، فكفانا مؤونة البحث والتنقيب والتجميع.

وسنكتفي بإيراد كلامه رضوان الله عليه دون تعليق، إذ في كلامه الكفاية، وهو قدس سره يضع النقاط على الحروف في كلامه النير هذا، يحدد فيه عمق المشكلة، وعلاجها ـ أيضاً ـ آملين أن يوفق المسلمون إلى إدراك ما أدركه، والسير على الدرب الذي سار عليه، رجاء أن يوفقهم الله ـ عز وجل ـ إلى ما وفقه إليه من إقامة حكم الإسلام... حكم العدل والكرامة. وللتذكير فإن هذه الخطبة ألقاها سماحته في المسجد الأعظم بمدينة (قم) المقدسة أواخر صيف ١٩٦٣م. وإليكم الخطبة:

إن المسلمين هم أولئك الذين عم مجدهم الدنيا، كانت حضارتهم أفضل الحضارات، معنوياتهم أعلى المعنويات، رجالهم أكمل الرجال، بلادهم أكبر مساحة من جميع البلدان، كانت لحكومتهم الغلبة والسيطرة على العالم (المستعمرون) رأوا أنه مع هذه القدرة، وهذه الوحدة الإسلامية لا يمكن فرض شيء مما يريدون. لا يمكن الاستيلاء على ذخائرهم، ولا على نفطهم، ولا ذهبهم. فكروا فرأوا أن التفرقة بين البلدان الإسلامية هي الحل.

لعل كثيراً منكم (حضَّار المجلس) يتذكر الحرب العالمية الأولى وماذا فعلوا فيها بالمسلمين، وبالدولة العثمانية. كانت الدولة العثمانية من القوة بحيث أنها إذا حاربت روسيا وتغلبت عليها أحياناً، إن سائر الدول لم تكن لتنافسها في هذا المجال. الدولة العثمانية كانت دولة إسلامية يمتد نفوذها من الشرق إلى الغرب. إنهم ـ الغربيون ـ رأوا أنهم لا يمكن عمل شيء مع هذه الدولة الإسلامية القوية، لا يمكن الاستيلاء على ذخائر المسلمين.

بعد أن هزموها في تلك الحرب، جزؤوها إلى دويلات صغيرة جداً، ووضعوا لكل دولة أميراً أو سلطاناً أو رئيس جمهورية. كانت الحكومات في قبضة المستعمرين والشعوب المسكينة في قبضة تلك الحكومات. بهذه الكيفية حطموا الدولة العثمانية بما لها من المجد، ولم تستيقظ البلاد الإسلامية من نومها، أو أنها تناومت. إن الدولة العثمانية إنما نالت ذاك المجد تحت ظل الخلافة الإسلامية، وفي ظل الاعتماد على القرآن الكريم. وبعد أن جزئت ـ في زماننا ـ أيام أتاتورك الخبيث، ألغوا الإسلام، ولم تعد الحكومة التركية حكومة إسلامية.

إن الحكومات بعيدة عن الإسلام، فليس لديها شعائر دينية، ولا أحكام شرعية، وبالطبع فإن الشعب التركي الشريف مسلم، ولقد كانت لهم النسبة الأعلى من الحجاج أيام كانوا يذهبون.

نعم كانت الدولة العثمانية بهذا المستوى، ولقد نالت مجدها ذاك باعتمادها على الإسلام ولقد أدرك الأعداء أن الاعتماد على الإسلام شيء خطير جداً، ومع هذا الاعتماد لا يمكن تفتيت البلدان الإسلامية.

في تركيا فصلوا الإسلام عن الحكومة، وها أنتم ترون أن الأتراك في قبرص يقتلون، ولا من مسلم يحزن لذلك. إنه لمدعاة للأسف أن تصاب دولة إسلامية بسوء أو يقتل بعض مواطنيها على أيدي النصارى، والدول الإسلامية الأخرى لا تحرك ساكناً في ذلك. وإذا أبدى أحد تأسفاً فهو روحاني عجوز مثلي!!. أما لماذا لا تبدي الدول الإسلامية أسفاً؟ فلأنها أضاعت مجدها.

إن الخلافات التي يبثونها في العراق، وإيران، وسائر البلدان الإسلامية يجب أن يعرف قادة الدول الإسلامية أنها ـ من شأنها تذهب بهم إلى الفناء. يجب أن يدركوا عن عقل وتدبير أن الأعداء وباسم الإسلام وباسم المذهب ويريدون محو الإسلام. إن الأيادي القذرة التي تبث الاختلافات بين الشيعة والسنة ـ إنها ليست من الشيعة ولا من السنة. إنها أيادي الاستعماريين الذين يريدون السيطرة على بلاد المسلمين وانتزاعها من المسلمين، ليستولوا على ذخائرها، ويجعلوا من بلاد المسلمين سوقاً سوداء للدول المتحضرة ـ بزعمهم ـ وإنهم ـ الغربيون ـ يريدون إيجاد أسواق في الشرق لبضائعهم التي يلقونها في البحر لأنها فوق حاجتهم، ذلك كي يبيعوها بأسعار مرتفعة.

قبل أيام نشر في جريدة (اطلاعات) أن فضلات أطعمة أمريكا مما يلقونه في القمامة بمقدار غذاء يوم للشعب الصيني البالغ ستمائة وخمسين مليوناً. إذن فلماذا لا يخضعوا الشرق بهذه القمامة التي يرمونها بعيداً؟! لماذا لا يحفظونها ليبيعوها للشرق بأسعار مناسبة، ويأخذوا عوضها ذهباً؟! لماذا لا يفعلون هذا؟!

ألا تدرك الدول الإسلامية هذا الأمر؟

ألا يعرفون ماذا سيحل بهم إذا تخلوا عـن القـرآن الكـريم، ولم يعتمـدوا على مبادئ الإسلام؟

إن المستعمرين يضعفون الدول الإسلامية ببث الخلافات المذهبية حـتى لا يبقي مذهب ولا يبقي دين (والعياذ بالله).

ترى ألا ينبغي لزعمـاء البلـدان الإسـلامية، مـن رؤسـاء الجمهوريـات وسـلاطين الإسـلام، ووزراء الـدول الإسـلامية، نـواب المجـالس في الـدول الإسلامية أن يتنبهوا؟!

هل هم حقيقة لا يدركون حقيقة الأمر؟، أم أنهـم يعرفـون ولكـن حبـهم للجاه وحبهم للمقام يفرضان عليهم العمل طبقاً لأوامر الآخرين؟!

أنتم أيها السادة هل تصدقون أن أولئك المطلعين على مجاريـات الأمـور أو الـذين يـدعون الإطـلاع لا يـدركون هـذا الأمـر الواضـح الـذي أدركـه سيد خميني؟!

هل تحتملون أنتم هذا المعنى؟ إنهم إذا أدركوا فإمـا أنهـم ـ لا سمح الله ـ مجانين، أو أنهم خائفون، ولكن لمـاذا يجـب علـيهم أن يخـافوا؟ لأنهـم فرقـوا جماعات وأحزاباً.

الدولة العثمانية ذات العرض والطول، قسموها إلى عدة دول صغيرة!!.

الشعوب المسكينة، هذا الشعب الكبير البالغ مئات الملايين حكمـوه بيـد جماعة غافلين عن الله، والمـستعمرون يـستعمرون زعمـاء الـدول الإسـلامية، زعماء الدول يذلون شعوبهم. أفلا يجب أن تستيقظ هـذه الـدول الإسـلامية؟ أي عيب رآه هؤلاء من الإسلام؟!).

وفي خطاب له قدس سره عام ١٩٧٩م قال:

إن مشكلة المسلمين تكمن في حكومات المسلمين. إن هذه الحكومات هي التي أوصلت المسلمين إلى هذا الوضع المخزي. ليست الشعوب هي مشكلة المسلمين، إن الشعوب تستطيع ـ بفطرتها الذاتية ـ حل قضاياها غير أن المشكلة هي إنكم إذا لاحظتم جميع الدول الإسلامية لا تجدون إلا ما شذ من المناطق التي حلت حكوماتها قضاياها. إن هذه الحكومات ومن خلال علاقاتها بالقوى الكبرى وعمالتها لقوى الشرق والغرب إنما توجد المشاكل لنا ولجميع المسلمين. إن هذه المشكلة لو أزيلت من بين يدي المسلمين لبلغ المسلمون آمالهم، وسبيل ذلك بيد الشعوب نفسها...

لا يمكن حل هذه المشاكل من دون إزاحة من هم واقفون في الطريق مشكلين سداً منيعاً أمام حل المشاكل، يجب إزاحة هؤلاء عن الطريق. إنكم أينما تذهبون، في كل بلد من بلاد المسلمين، بل في جميع بلدان الدنيا لا ترون مانعاً أمام التطور المادي والمعنوي للشعوب إلا زعماء القوم. إن قادة الدول هم الذين يأتون بأقربائهم والمرتبطين بهم إلى الجامعات ليدرسوا، فيمارس هؤلاء المعلمون عملية إفساد شبابنا.

إن مشكلتنا الآن هي حكوماتنا، وإن مشكلة الإسلام هي الحكومات الإسلامية. ويجب حل هذه المشكلة ولو عادت الحكومات الإسلامية إلى نفسها واتجهت نحو الإسلام، رجعت من العروبة إلى الإسلام، من التركية إلى الإسلام فستحل المشاكل، وإن لم يفعلوا ذلك فالمشاكل باقية، حتى تفعل سائر البلدان مثل ما فعلت إيران.

لقد حلت إيران هذه المشكلة بقبضتها، وعلى جميع الدول أن تحل مشاكلها بقبضاتها. لا يحسن بنا أن نجلس وننتظر حكوماتنا أن تنجز لنا شيئاً، إن حكوماتنا تعيش لذاتها. إن هذه الحكومات القائمة في بلاد المسلمين ليس بينها وبين الإسلام أي ارتباط، وإذا فوجئتم بهم يتحدثون عن الإسلام فليس إلا لخداعكم...».

وأخيراً ـ قرائنا الأعزاء ـ نقول: ليس البيان كالعيان، فها هو الداء وتعرفون الدواء.

«نحن مكلفون بالعمل الجدي لأجل إقامة الحكومة الإسلامية، ويعتبر العمل الدعائي أول أنشطتنا في هذا الطريق، فيجب أن نتقدم من خلال العمل الإعلامي، ففي جميع أنحاء العالم كان الأمر كذلك على الدوام. إذ يلتقي عدة أشخاص ويفكرون في الأمر، ثم يقررون ويقومون بعد ذلك بالعمل الدعائي، فيزدادون شيئاً فشيئاً، إلى أن ينتهي الأمر بأن يصيروا قوة نافذة في حكومة كبيرة . أو يحاربونها . ومن ثم يسقطونها»[1].

«وأتقدم بشكري للشبان اللبنانيين الأعزاء الذين أصبحوا مدعاة لفخر الأمة الإسلامية وجلبوا الذل والخذلان للسلطويين، وأدعو بالتوفيق والنجاح لجميع الأحبة الذين يسددون الضربات إلى إسرائيل ومصالحها داخل الأراضي المحتلة وخارجها بالاعتماد على سلاح الإيمان والجهاد»[2].

---

(١) الحكومة الإسلامية للإمام الخميني قدس سره: ص ١٨٢.

(٢) بيان الحج للإمام الخميني قدس سره عام ١٤٠٧هـ

عوامل ساعدت في تكوين شخصية الإمام قدس سره

حجة الإسلام والمسلمين الشيخ علي الدواني[1]

مقدمة:

تطرح هذه المقالة نظرة عميقة ودقيقة لتفاصيل مهمة من حياة الإمام الخميني رضوان الله عليه، وتسعي إلى بحث وتحليل طبيعة الشخصية الثورية لهذا النموذج المتعالي من خلال التعريف بمواقف بعض الشخصيات والأساتذة الذين تركوا آثاراً وبصمات مهمة في شخصية الإمام الثورية.

وقد تطرق الكاتب إلى حياة بعض النماذج العلمائية الحقيقية الحريصة على سمو الأمة والإسلام، وهم من الشخصيات التي وصفها المؤلف بأنهم (تغلبوا على أهوائهم النفسية في سبيل الله).

كما تحدث الكاتب عن الظروف التي أحاطت بشهادة والد الإمام ومقارعته للظلم والطغاة؛ وعمد إلى دراسة وتحليل الشخصية الثورية لآية الله الشاه آبادي الفقيه والفيلسوف والعارف بالله وهو أستاذ الإمام في العرفان؛ ليبين المؤلف من خلال دراسته لهاتين الشخصيتين مقدار تأثيرهما على شخصية الإمام الثورية والمعنوية.

وتطرق المؤلف أيضاً في هذا القسم من المقالة إلى الشخصية الثورية الخاصة لآية الله مدرس، فأشار فيها إلى نقاط مهمة تركت تأثيرها في طبيعة الشخصية الثورية للإمام رضوان الله عليه.

---

(١) كاتب ومحقق في العلوم الإسلامية.

وعلى هذا الأساس، فإن القارئ سيتعرف في هذه المقالة على بعض الشخصيات الثورية البارزة التي كانت تمثل نموذجاً وقدوة حسنة في حياة قائد الثورة الإسلامية الإمام الخميني رضوان الله عليه وأنها أثرت أثرها الإيجابي في تركيب شخصيته الثورية.

وأشار الكاتب إلى الدور الأساسي الذي قام به المرحوم الإمام الخميني قدس سره في تنامي النهضة الإسلامية للشعب الإيراني المسلم طيلة ستة عشر سنة، ونجاحها في القضاء على النظام الشاهنشاهي الديكتاتوري الذي دام أكثر من ألفين وخمسمائة سنة، ورميه في مزبلة التاريخ.

وهذا الموضوع لا يحتاج إلى البحث والاستدلال، بل لا بد من القول أن: الإمام هو أول من بدأ الثورة الحقيقية للقضاء على هذا النظام، وأثمرت جهوده المستمرة وثباته ورؤيته الإلهية الخاصة، إلى انتصار الثورة.

لم يكن للثورة الإسلامية أن تنتصر، ولم يكن للجمهورية الإسلامية أن تقام على أنقاض النظام الشاهنشاهي، لولا المواقف البطولية التي أبداها الإمام الخميني رضوان الله عليه، خاصة بياناته التي أصدرها في أحداث سنة (١٩٦٢م) حول اتحادات الولايات وأدت دوراً كبيراً في سقوط حكومة أسد الله علم، وكذلك مواقف الإمام في المرحلة الثانية من النهضة الإسلامية، خاصة الموقف السريع والقوي للإمام في مواجهة الاستفتاء الذي أقامه الشاه، وبياناته القوية في يوم عاشوراء سنة (١٩٦٣م) والتي أدت فيما بعد إلى اعتقاله لمدة عشرة أشهر في طهران.

إضافة إلى مواقف الإمام في المرحلة الثالثة من النهضة الإسلامية وبياناته في إدانة قانون الحصانة القضائية والسياسية للرعايا الأمريكيين (كابيتولاسيون)، والتي أدت إلى نفيه إلى تركية لمدة أحد عشر شهراً، وإقامته الجبرية في النجف الأشرف لمدة ثلاثة عشر سنة، ثم هجرته إلى باريس وإقامته فيها لمدة أربعة أشهر، ثم عودته الظافرة إلى إيران وتحقيقه الانتصار العظيم. وقد دوّن المؤلف جميع هذه الأحداث الشاقة والمواقف البطولية في كتابه (نهضت روحانيون إيران)، والتي أدى الإمام دوراً كبيراً فيها من خلال مواقفه البطولية ومقاومته الشجاعة وثباته على طريق الحق.

الآن ينبغي التعرف على العوامل التي أدت إلى ظهور هذه النهضة بواسطة الإمام رضوان الله عليه والتي قل نظيرها في التاريخ، وما هي الدوافع التي أثرت في تركيب شخصيته السياسية والدينية، بحيث جعلته يقدم على مثل هذه المخاطرة الكبيرة، ولم يتوقف حتى حقق ما أراد؟! ورغم المقالات والكتب الكثيرة التي بحثت جميع الأبعاد في حياة الإمام وشخصيته الذاتية، وناقشت الأسباب التي أدت إلى قيام هذه النهضة العظيمة، وكان المؤلف أكثر من كتب، حول هذا الموضوع من خلال مقالاته وأحاديثه ومؤلفاته الكثيرة، إضافة إلى ما كتب في الأحد عشر مجلداً من كتابه الذي أشرنا إليه؛ لكن مع ذلك فإننا نجد أن ما جاء في هذه المقالة يحمل شيئاً جديداً لم يتطرق له أحد بهذا التفصيل من قبل.

وسنعرض الآن على القراء الكرام بعض النقاط المهمة حول هذا الموضوع، نأمل أن تحظي باهتمامهم، والعمل على نقد مواضع الخطأ فيها:

الصفات التي اختص بها الإمام من الناحية الجسدية والروحية:

تميز الإمام الخميني رضوان الله عليه من الناحية الجسدية والروحية بصفات خاصة ميزته عن الآخرين، فكان مصداقاً للقول:

(الله أعطي لكل شخص ما يليق به)، فالله تعالى وهب هذه الصفات الخاصة للإمام رحمه الله، فلم تكن بالشيء الذي يمكن أن يكتسبه الآخرون بالتحريف والجهد؛ بل كانت صفات اختص بها الإمام دون غيره. والإمام في خطبته التي ألقاها في يوم من الأيام بعد درسه في المسجد الأعظم في قم ـ وكان الكاتب حاضراً فيها ـ قال أمام الجمع الغفير من الناس مشيراً بيده إليهم ـ وللإمام صورة بهذه الهيئة ـ: «والله لم أخشي أحداً أو شيئاً حتى الآن»!

إنّ هذا القسم عندما يصدر من مرجع تقليد!! إذن تصوروا ما هي سلامة الروح قوة الجسم اللتان يملكها حتى يتمكن من قول هذا الكلام. وخلال الستة عشر سنة من عمر الثورة أثبت الإمام هذا المعنى، وجميع العالم فهموا أن هذه الشخصية العظيمة فعلاً لا تخشي أحداً أو شيئاً غير الله تعالى، وقد ذكر الإمام تمسكه الشديد بالله في كلماته التي كانت تذاع في الراديو قبل أذان الظهر، إذ قال: نحن كلنا لا شيء من دون الله، وهو كل شيء. كان هذا جانباً من شخصية الإمام الذاتية وطبيعته الوجودية، والآن ينبغي التطرق إلى العوامل التي يمكن أن تكون قد أثرت في تكوين الرؤية السياسية والدينية للإمام؟

استشهاد والد الإمام في مواجهة الظلم والظالمين:

لقد لاحظ الإمام منذ سن الطفولة، كيف كان والده ـ باعتباره رجل الدين في المنطقة ـ يقاوم الظالمين والظلمة ويدافع عن المستضعفين، وكيف قدم حياته في سبيل هذا النهج واستشهد في ربيع شبابه على يد جلادي النظام الحاكم آنذاك. فتركت هذه الذكريات تأثيراً إيجابياً كبيراً على تكوين شخصية هذا الطفل الصغير، الذكي، الموهوب، واستمر هذا التأثير على مدى مراحل حياته، خاصة وقد عاش المعاناة والجهد الذي بذلته عمته الكريمة السيدة (صاحبة) وأخواه السيد مرتضي والسيد نور الدين في كشف مؤامرة قتل والده وأخيه، حتى أضطر عين الدولة ـ رئيس الوزراء آنذاك ـ إلى الأمر بإعدام قاتليهما في ساحة الإعدام في طهران، ليلقوا جزاء عملهم المشين. فكان هذا الموضوع كافياً لكي يدرك (السيد روح الله) منذ طفولته أن يصبح مثل والده يقارع الظلم والظالمين، ويدافع عن المستضعفين حتى لو كلفه ذلك حياته.

ثورة الحاج نور الله الأصفهاني:

في سنة (١٩٢٧م) وبعد أن عمد رضاخان البهلوي بعد سنتين على تشكيل مجلس المؤسسين وتغيير الدستور لإنهاء السلالة القاجارية وتنصيب نفسه ملكاً لإيران، قدم الحاج نور الله الأصفهاني ـ وكان أحد فقهاء أصفهان العظام ـ إلى قم مع عدد من علماء أصفهان لينضم إلى الحوزة العلمية في قم، وحتى يتمكن من إيصال اعتراضه بسهولة إلى رضاخان والحيلولة دون استمراره في غيّه والتفرد في سلطته، فدعا الحاج نور الله علماء المدن الأخرى

أيضاً لينضموا إليه في قم، فتجمع فيها عدد كبير من العلماء. وطيلة شهرين أخذ ممثلوا رضاخان بالتردد بين قم وطهران خاصة وزيره (تيمورتاش)، فأدى ذلك إلى انتشار نهضة الحاج نور الله في كافة أنحاء البلاد، مما دفع رضا خان للتفكير في حل لها خوفاً من استمرارها لفترة طويلة مما قد تؤدي إلى نتائج وخيمة يصعب تجنبها، وبعد شهرين قُتل الحاج نور الله بشكل غريب في قم، فشاع أنه قتل بأمر من رضا خان بحقنة هواء، مما أدى ذلك إلى تفرق العلماء في البلاد، وفشل الثورة.

وكان الإمام في ذلك الوقت في سن الخامسة والعشرين. فشهد تلك النهضة العلمائية وتابع أحداثها وفشلها، حتى إنه تحدث عن أحداثها عندما كان منفياً في النجف الأشرف:

(في زمن حكومة هذا الرجل من سوادكوه ـ كان رضا خان من أهالي مدينة سوادكوه في مازندران ـ انتفض عدد من علماء أصفهان وقدموا إلى قم مع عدد كبير من علماء البلاد ـ وكنت شاهداً على هذه الواقعة ـ لكن رضاخان وأعضاء حكومته واجهوا هذه النهضة وقمعوها في مهدها، وعمدوا إلى خداع رجالاتها أو تفريقهم، على كل حال انتهي الأمر بفشل الثورة).

حادثة نفي المرحوم بافقي:

بعد مضي ثلاثة أشهر على فشل ثورة الحاج نور الله، أي في نوروز سنة (١٩٢٨م)، قدمت إلى قم زوجة رضاخان وبناته للمشاركة في مراسم تحويل السنة الجديدة؛ ونظراً لعدم رعايتهن آداب الحجاب الإسلامي، تعرض لهن

المرحوم الشيخ محمد تقي بافقي ـ وكان أحد علماء الحوزة والمسؤول عن توزيع شهرية الطلاب ـ ناهياً لهن عن المنكر، فوصل الخبر سريعاً إلى طهران، مما دفع برضا خان وجلاوزته للقدوم إلى قم، فذهب إلى الحرم[1]، وأخذ يضرب المرحوم البافقي ويركل برجله، ثم أمر بسجنه في مركز الشرطة في قم. وبعد عدة أشهر أمر رضاخان بنفيه إلى مدينة (شهرري) ليبقي في هذه المدينة طيلة حكم رضاخان.

وقد أثرت هذه الحادثة كثيراً على طلاب الحوزة العلمية في قم وكان من بينهم الإمام الخميني رضوان الله عليه، لكن لعجزهم عن مواجهة هذا النظام لم يكن بيدهم شيء سوى حمل الحقد والكراهية لهذا الطاغية. أمام المرحوم البافقي فقد استمر في نقده لأعمال رضاخان وسلوكه خاصة عندما كان يرتقي المنبر في مرقد السيد عبد العظيم الحسني عليه السلام في طهران.

الأستاذ ووالد الأستاذ:

في سنة (١٩٢٨م) انتقل آية الله الميرزا محمد علي شاه آبادي من طهران للإقامة في قم وتدريس العرفان الإسلامي فيها، مما دفع الإمام الخميني رضوان الله عليه للحضور في درسه لمدة سبع سنوات تقريباً.

وكان آية الله شاه آبادي فقيهاً، وفيلسوفاً، وعارفاً بالله، وأحد الفقهاء العظام، وقد تمكن الإمام خلال هذه الفترة الطويلة من التعرف جيداً على شخصية الأستاذ والتاريخ العلمي والجهادي له ولوالده آية الله الميرزا محمد جواد بيد آبادي الأصفهاني المتوفى سنة (١٣١٢هـ ق).

---

(١) حرم السيدة (فاطمة المعصومة بنت الإمام موسى الكاظم عليهما السلام).

وقد سمع الإمام من أستاذه أن والده آية الله الميرزا محمد جواد بيد آبادي الأصفهاني، كان من تلامذة الفقيه الأعظم صاحب الجواهر، وكان يهتم كثيراً بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لذا كان يقيم الحدود الشرعية في أصفهان، مما أثار حفيظة ناصر الدين شاه القاجاري عندما سمع بالخبر، فامتعض كثيراً ومنعه من إقامة الحدود؛ لكن آية الله بيد آبادي لم يكترث لأمره واستمر بتطبيق أحكام الشريعة الإلهية.

ولما رأى الشاه القاجاري عدم تأثير أوامره المستمرة على الميرزا، أمر بنفيه إلى طهران، حتى يتمكن من منعه في إقامة الحدود الشرعية.

وعلى هذا الأساس، في سنة (١٩٢٥م) انتقل الميرزا للإقامة في طهران مع ولديه محمد علي (آية الله شاه آبادي) وعلي محمد، وبدأ بإقامة صلاة الجماعة في أحد مساجدها.

وكان في طريقه بين المسجد والمنزل محلاً لبيع المشروبات الكحولية لأحد الأرامنة اسمه (كنت)، حيث كان المحل الرئيس لبيع المشروبات إلى بلاط ناصر الدين شاه. في البداية، ومن باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سعي آية الله بيد آبادي إلى نصيحته بالكف عن بيع الخمور لأنه مخالف للشرع، لكن كنت الأرمني لم يهتم بكلامه واستمر في عمله. في اليوم التالي وبعد انتهاء صلاة الجماعة، سار آية الله بيد آبادي مع ولديه وعدد كبير من المصلين إلى المحل، وقاموا بإفراغ الخمر من جميع الأواني وسكبها في المجاري، لكنه أمر المصلين بعدم كسر أواني الشراب لأن لها قيمة مالية.

بعد أن سمع ناصر الدين شاه بالحادثة، أرسل إلى الميرزا يستفهم منه، ما الذي فعلته؟ فأجاب الميرزا: (إن هذا العمل من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد كنت أتصور أنك ناصر الدين، لكن أتضح لي أنك كاسر الدين)، فما أن سمع الشاه هذا الجواب حتى أمر بمتابعة القضية، ولما رأى آية الله الميرزا محمد أنه عازم على إيذائه، قرر العودة إلى أصفهان.

لكن ظل السلطان بن ناصر الدين شاه ـ وكان حاكم أصفهان آنذاك ـ ما أن سمع بهذا القرار حتى أبلغ والده بضرورة منعه وإبقائه في طهران، لأن في عودته إلى أصفهان خطر على التاج والعرش. عندها قرر رضا قليخان سراج الملك لقاء الميرزا وملاطفته لصرفه عن العودة إلى أصفهان، فقبل الميرزا البقاء في طهران بشرط أن يشتري الحاكم محل كنت الأرمني ويعمل على تحويله إلى مسجد، فأذعن سراج الملك زائد لهذا الشرط وبنى في مكان المحل مسجداً سمي باسم سراج الملك وهو المسجد الموجود حالياً في شارع أمير كبير، وبعد إكمال المسجد أخذ الميرزا بإقامة صلاة الجماعة فيه، ولازال هذا البيت مكتوباً على باب المسجد:

حسن توفيق بين كه مسجد كرد   سطح ميخانه را سراج الملك

أي: انظر إلى حسن التوفيق بأن بدّل سراج الملك محل الخمور إلى مسجد.

نعم، لقد سمع الإمام الخميني رضوان الله عليه هذه الحادثة التي تعرض لها والد أستاذه والتي جعلته يقيم في طهران. فتصور كم تركت هذه الحادثة من آثار عظيمة على شخصيته في محاربة الطغاة.

أما ولده آية الله الميرزا محمد علي شاه آبادي أستاذ الإمـام في العرفـان، فقد أقام لفترة في النجف الأشرف وسامراء، وتتلمذ على يد آيـة الله الآخونـد الخراساني وآية الله الميرزا محمد تقي الشيرازي؛ وبعد عودتـه إلى إيـران أقـام صلاة الجماعة في مسجد سراج الملك لفترة طويلـة، في حـين كـان يقـيم حلقـة درسه في منزله، فكان مشغولاً بالتدريس وتبليغ الدين.

وكان الميرزا محمد علي شاه آبادي كوالده مجاهداً، واعياً، ومراقبـاً يقـف برجولة وبطولة بوجه جميع الانحرافات التي تصدر مـن أي كـان. وقـد أدرك منذ بداية الصراع بين آية الله الـسيد حـسن مـدرس ورضـا خـان، الـسلوك المنحرف والمرائي الذي كان يتبعه رضـاخان، وتظـاهره بالمـشاركة في مجـالس العزاء وزيارة بيوت العلماء وتقبيل أيديهم، واعتـبر ذلـك نوعـاً مـن التملـق والمراءاة. خطب آية الله الحائري ـ مرجع التقليد في قم ـ في المجلـس في دورتـه الرابعة، وقال: (رغم صدور بعض الأضرار من رضاخان، لكـن منافعـه أكثـر من مضراته، لذا ينبغي علينا السعي لمعالجة هذه الأضرار، لتستفيد الـبلاد مـن منافعه). فردّ عليه آية شاه آبادي، قائلاً: (إنّ هذا الرجل لم يصل حـتى الآن إلى السلطة، فيقوم بتقبيل أيدي العلماء والمراجع والتظاهر بالتدين، والكـلام عـن محبته لأهل البيت عليهم السلام؛ لكنه ما أن يصل إلى السلطة حتى يجافي جميع العلمـاء، وستكون أول من يتعرض لضرباته).

وبعد فترة اتضح صحة حدس المرحوم شاه آبـادي، إذ أمـر رضـا خـان بنفي آية الله مدرس، ثم أمر بقتله بالسم، فاستشهد على أثرها رحمة الله عليه. وبدأت بعدها مؤامرات رضاخان وجفائه للعلماء تتضح يومـاً بعـد يـوم حـتى

أصبح ملك إيران المطلق، ورغم قدرته وسلطته الشديدة إلاّ أن آية الله شاه آبادي ظل يناديه بلقبه السابق (بالاني)[1]. ولمواجهة تزايد قدرة الشاه وسلطته على العلماء، دعا آية الله شاه آبادي العلماء للتجمع في صحن السيد عبد العظيم الحسني عليه السلام [2] اعتراضاً على سلوك رضا خان وأعماله المخالفة للشرع. وقد لبى نداء هذا العالم العظيم عدد كبير من علماء طهران (حوالي سبعين عالم)، واستعدوا للتجمع في الصحن للاعتراض على حكومة رضاخان؛ لكن وللأسف لم يحضر أغلب العلماء لخوفهم الشديد من قدرة الشاه مما اضطر آية الله شاه آبادي للذهاب وحده مع اثنين فقط من العلماء، والاعتصام في داخل الصحن الشريف.

وقد بقوا هناك حتى حلّ شهر محرم الحرام وأقيمت مجالس العزاء على سيد الشهداء عليه السلام، فاستغل آية الله شاه آبادي هذه الأيام لارتقاء المنبر في تلك المجالس، وأخذ يفضح مؤامرات الشاه وأعماله المخالفة للشريعة، حتى إنه كان يخاطب الشاه بألقاب تقلل من قيمته.

وأثناء فترة الاعتصام كتب آية الله شاه آبادي، رسائلاً إلى علماء إيران في المدن الأخرى وعلماء العراق، يوضح لهم فيها الخطر الذي يهدد الإسلام من قبل رضاخان، وطلب منهم فضح مؤامراته وجرائمه على المنابر. فأرسل

---

(١) اتخذ رضاخان فيما بعد لقب (البهلوي) بدلاً من (بالاني)، وهو اسم عائلة الميرزا محمود خان عضو وزارة البريد، ولعنوان البريد للمصرف الملكي الإنجليزي، فأصبح اسمه فيما بعد رضاخان البهلوي.

(٢) من أحفاد الإمام الحسن المجتبى عليه السلام (مرقده في شهر ري في طهران).

أحد علماء النجف رسالة له، يستفسر فيها عن سبب اعتصامه، فأجابه آية الله شاه آبادي:

(... لقد ورثنا ديناً استشهد في سبيله منذ زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وحتى الآن، الأئمة عليهم السلام والصحابة وأنصارهم والعلماء.. وضحي من أجله آلاف الشهداء. وقد وصلت إلينا ثمرة هذه التضحيات، لذا تقع علينا مسؤولية المحافظة عليها، فإذا ما رأينا هذه الأمانة تتعرض للنهب والإتلاف من قبل هذه الحكومة الظالمة، علينا تقع مسؤولية المحافظة عليها بكل ما نملك لأننا نعتقد أن دماءنا ليست بأفضل من دماء سلفنا الصالح).

قبل بدء اعتصام آية الله شاه آبادي، كانت تقام في مرقد السيد حمزة المجاور لمرقد الشاه عبد العظيم عليه السلام مجالس عزاء سيد الشهداء عليه السلام، فقام آية الله شاه آبادي بتعطيل هذه المجالس واستبدالها بمجالس للوعظ والخطابة، وكان يشترك فيها بنفسه، حتى أنه صعد المنبر في اليوم الأخير وخطب قائلاً: (اللهم إنك شاهد على ما كتبته للعلماء الأعلام في النجف وقم ومشهد وأصفهان وسائر البلاد، فماذا كتبت لهم؟ كتبت لهم رسالة وأتممت فيها عليهم الحجة، وفي هذه الليالي والأيام العشرة إذا ما كررت ذلك في هذه المرة، أكون قد قلتها ثلاثين مرة، وبذلك أتم الحجة على الناس أيضاً، أن هذا الطاغية ليس عدواً لي، بل هو يعادي الإسلام والقرآن، ويعادينا لأننا حماة الإسلام وحفظته، وإذا ما أعطيناه الفرصة، فإنه سيجتث الإسلام والقرآن من جذورهما في هذه البلاد).

وقد سعي الشاه رضاخان خلال فترة اعتصام آية الله شاه آبادي في مرقد الشاه عبد العظيم عليه السلام، إلى إرضائه بشتى الوسائل وإنهاء اعتصامه، حتى إنـه كان مستعداً للذهاب بنفسه والتفـاوض معـه، وأرسـل إليـه عربتـه الملكيـة لإحضاره إلى طهران؛ لكن آية الله شاه آبادي رفض كل ذلك.

استمر اعتصام آية الله شاه آبادي مدّة أحد عشر شهراً تقريبـاً، ممـا دفـع بعض علماء طهران أمثال: آية الله الشهيد سيد حسن مدرس، وآية الله الشيخ عبد النبي النوري وعلمـاء المـدن الأخـرى، للحـضور إلى مرقـد الـسيد عبـد العظيم عليه السلام والطلب منه إنهاء الاعتصام. فاستجاب الميرزا لذلك بعد أن رأى عدم فائدة الاعتصام مع تنامي قدرة الشاه وسلطته، فأنهي اعتصامه وعاد إلى طهران، ولم يبق فيها سوى فترة قصيرة، انتقل بعدها للإقامة في قم.

حدثت هذه الحادثة في سنة ١٣٤٧هـق (١٩٢٨م)، وهي السنة التي طلب فيها الإمام الخميني رضوان الله عليه منه البدء بدرس العرفان، فوافـق المـيرزا، واسـتمر حضور الإمام في هذا الدرس لمدة سبع سنوات.[١] وبعد مضي هذه الفترة على إقامته في قم والتدريس فيها، عاد بعدها آية الله شاه آبادي إلى طهران، حيـث أقام صلاة الجماعة في مسجد في منطقة شاه آباد، لذلك أطلق عليه الناس لقب (شاه آبادي).

وكان الإمام رضوان الله عليه يذكر كثيراً أستاذه بـالخير في مـوارد مختلفـة ويطلـق عليه (شيخنا).

---

(١) تم الاستفادة من كتاب (شاه آبادي بزرگ ـ آسمان عرفان) فـي ذكـر الـسيرة الشخصية لآية الله الشاه آبادي ووالده.

ومن بين المواقف اللطيفة التي ينقلها عنه، وذكرها في عدة موارد من بينها ما جاء اليوم في (صحيفة الإمام) أو (صحيفة النور)، إذ يقول الإمام: (كان شيخنا يطلق على أدعية الأئمة الأطهار اسم (القرآن الصاعد) في قبال الكتاب السماوي وهو القرآن النازل).

وقد كرر الإمام كثيراً، أمام العديد من الأشخاص قوله: (لم أر في حياتي شخصاً بهذه اللطافة وهذه الأهمية).

ولم تقتصر استفادة الإمام رضوان الله عليه طيلة هذه السنوات على استفادته من أنفاس أستاذه آية الله شاه آبادي القدسية فقط؛ بل كان يسمع منه أيضاً مواقفه البطولية في مواجهة رضاخان، وهي حتماً أكثر بكثير مما جاء في هذه المقالة؛ كما كان يتابع حتماً أخبار اعتصام هذا المرحوم لمدة أحد عشر شهراً في مرقد شاه عبد العظيم عليه السلام، والتي كانت تصل إلى الحوزة العلمية في قم؛ ولعل هذه المواقف هي التي دعت الإمام رضوان الله عليه للإصرار على دراسة العرفان الإسلامي على يده، ولذلك قضي أكثر مدة دراسته عند هذا الأستاذ الكبير. وقد كتب الإمام الخميني رضوان الله عليه في بيانه بمناسبة استشهاد حجة الإسلام والمسلمين الشيخ مهدي شاه آبادي ابن أستاذه، وكان في هذا البيان يطلق على ابن أستاذه لقب (ابن أستاذي):

(إنّ هذا الشهيد العزيز.... ابن شيخنا الجليل، الذي كان له عليّ حق الحياة كرجل دين في الحوزة، ولذلك لساني وقلمي يعجزان عن أداء حق شكره).

ويقول في موضع آخر:

(وربما أستطيع الإدعاء أن أحداً لم يعرفه حقاً مثلما عرفته أنا).

وينقل عن آية الله السبحاني التلميذ المقرّب للإمام الخميني رضوان الله عليه، أن آية الله شاه آبادي قال: (عندي تلميذ باسم (روح الله) لو تعطيه درساً لبعض دقائق، لن يقول هذا قليل؛ ولو تعطيه درساً لعدة ساعات، فلن يقول هذا كثير). والإمام قال أيضاً: (لو كان آية الله شاه آبادي يدرس لسبعين سنة، لكنت أحرص على حضور درسه؛ لأنه كان يزودنا كل يوم بكلام جديد).

وينقل آية الله الشيخ محمد شاه آبادي الابن الأكبر لأستاذ الإمام، أن آية الله شاه آبادي كان يذكر دائماً تلميذه الملتزم باسم (روح الله).

وفي لقائه عائلة الشهيد الشيخ مهدي شاه آبادي سنة (١٩٨٥م)، قال الإمام:

(إنّ المرحوم آية الله شاه آبادي، إضافة إلى كونه فقيهاً وعارفاً كاملاً، كان أيضاً مجاهداً بمعنى الكلمة).

آية الله الشهيد مدرس قدس سره:

لقد تأثر الإمام الخميني رضوان الله عليه بشخصية آية الله الشهيد مدرس الدينية والسياسية القوية أكثر من غيره، وكان على معرفة بتفاصيل حياته؛ بل كان يذهب أحياناً إلى المجلس للاستماع إلى كلام وخطب رجل الدين المجاهد القوي، ومشاهدة تأثير وجوده في المجلس على الأعضاء الآخرين المؤيدين والمخالفين لكلامه. وكان يشارك أيضاً في حلقة درسه في مدرسة (سبهسالار).

وبعد كل هذه المواقف والجهاد ضد رضاخان، أمر الشاه سنة (١٩٢٨م) بنفي المرحوم مدرس إلى منطقة (خواف) ثم إلى (كاشمر) وبعد مرور عشر سنوات قضاها في المنفي، دس له رجال الشاه السم فاستشهد على أثرها المرحوم مدرس سنة (١٩٣٨م).

كان الإمام كثيراً ما يمدح في خطبه الشخصية الممتازة لآية الله الشهيد مدرس قُدِّسَ سِرُّهُ، ويثني على مواقفه الايجابية البناءة.

ومن جملة كلامه الذي ألقاه في إحدى خطبه في حسينية جماران[1]، قال الإمام:

(لقد شاهدتم تاريخ المرحوم مدرس، كان سيداً نحيلاً جداً، يرتدي لباساً خشناً، فكيف لمثله أن يواجه قدرة وسلطة الشاه، والتي أدرك فيها الجميع أن زمان رضاخان غير زمان رضاشاه. إذ كان حاكماً متسلطاً لم يشهد التاريخ مثيلاً له، فوقف المرحوم مدرس أمام هذه الطاغية، سواء في المجلس أو خارجه، إلى درجة أن قال له رضاخان: سيد، ماذا تريد مني؟ فأجابه السيد: أريد أن لا تكون موجوداً.

ذهبت يوماً إلى حلقة درسه التي كان يقيمها في مدرسة سبهسالار (حالياً مدرسة الشهيد مطهري)، فكان طالباً متواضعاً كأنه لم يكن لديه أي عمل آخر سوى التدريس؛ إذ كان يتمتع بقدرة معنوية كبيرة رغم انشغاله التام في خضم المسائل السياسية آنذاك، بحيث يذهب بعد الدرس الوحيد إلى المجلس

---

(١) في سنة ١٩٨١م.

ليطرح مداخلاته الاعتراضية. وعندما يذهب إلى المجلس، كان الشخص الذي يحسب له الجميع ألف حساب، وقد رأيت عن قرب جو المجلس في ذلك الوقت، وكأن المجلس كان ينتظر وصوله رغم اختلافهم معه؛ لأن المجلس كان يشعر بوجود نقص فيه عند غياب المدرس، فإذا ما حضر كأن شيئاً جديداً حدث فيه! فلم كل هذا؟ لأنه كان رجلاً لا يهتم أبداً بأي مقام أو ثروة أو أمثالها، ولم يكن المنصب ولا الثروة تؤثران عليه. فحياته كانت بهذا الشكل.

وعندما دخل الوالي إلى منزله، ونحن عندما نقول الوالي فأنكم لن تتصورّا ماذا كان يعني ذلك؟ فقال له المرحوم المدرس:

حضرة الوالي أنا أسكب ماء النارجيلة، وأنت أعد لنا النار أو بالعكس. فعمل على تحقيره إلى الحد الذي منعه من أن يطمع بشيء آخر، إذ عندما تعامل معه بهذا الشكل وطلب منه أن يعد النار، وهو الحاكم الذي يعظمه الجميع، فإنه قد حقّر شخصيته حتى لا يطمع في شيء منه كأنه يطلب منه موقفاً معيناً في الأمور السياسية.

كنت موجوداً هناك عندما كتب أحد الأفراد رسالة إلى رضاشاه في زمان حكومته، وحينها لم يكن حاكماً فقط بل كان طاغية غبياً يسعي لإفناء كل شيء. فجاء الشخص وقال: لقد كتبت شيئاً إلى العدلية، فخذه وأعطه لأحد يوصله إلى حضرة السلطان؛ فأجاب المرحوم مدرس: إنّ رضاخان لا يعرف أصلاً كيف تكتب (عدلية) بالألف أم بالعين! سآخذها لأعطيها له؟! ولم يكن يقول هذا الكلام في غيابه فقط، بل كان يقوله حتى في حضوره أيضاً. فهكذا كانت مواقف المرحوم مدرس؛ لأنه كان رجلاً صالحاً، بعيداً عن أهوائه

النفسية، ولم يكن مثل من ﴿اتخذ إلهه هواه﴾[1]، فكان يعمل لله وفي سبيل الله، وحياة مثله تكون حتماً بهذا الشكل، إذ لا يمكن أن تكون أسوأ من ذلك، فماذا يفعل ؟ وهو لا يخشي أحداً أبداً.

وعندما دخل رضاخان إلى المجلس، وهتف مؤيدوه: عاش رضاخان، عاش القائد، وقف المدرس قائلاً: يسقط القائد، يسقط رضاخان ـ عشت أنا! فتصوروا ماذا يعني الوقوف بوجه رضاخان؟! ولم يكن ذلك إلاّ لكونه كان حراً من أهوائه النفسية).

في مسجد الشيخ الأنصاري وأثناء حلقة الدرس سنة (١٩٧١م)، قال الإمام:

(... لقد رأيت المرحوم المدرس قدس سره عن قرب، كان من الأفراد الذين وقفوا ضد الظلم، وواجهوا ظلم ذلك الطاغية من سياهكوه، أي وقف بوجه الطاغية رضاخان، وقد أرسلوه إلى طهران باعتباره أحد العلماء الكبار، فحضر من أصفهان بعربة يجرها الحصان. وقد نقل أحد الأفراد الثقة، أنه اشترى عربة وكان يقود حصانها أحياناً حتى وصل إلى طهران، فاستأجر فيها بيتاً متواضعاً.

فكنت أتردد كثيراً على منزله للقائه وقد حضر رضوان الله عليه في طهران باعتباره من العلماء البارزين، البروز الذي انتفي موضوعه من البداية، إذ انتخب عضواً في المجلس ممثلاً عن طهران. فكان يقف وحيداً بوجه الظلم،

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٦٣.

وبالطبع كان يؤيده بعض أعضاء المجلس ـ وهم أقلية ـ ـ مثل ملك الشعراء بهار ـ لكنه الوحيد الذي كان يصرح بالاعتراض ضد ظلم رضاخان وتجاوزاته.

وفي تلك الفترة أرسلت الحكومة الروسية تهديداً إلى إيران، بحيث أرسلت بعده جنودها وجيشها حتى وصلوا إلى قزوين، وكانوا يريدون تكبيل إيران بمعاهدة (تخرجها من موقف الحياد في الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤م)، فطلبوا تمرير هذه المعاهدة من المجلس، وبقي جميع أعضاء المجلس في حيرة من أمرهم لا يعلمون ماذا يفعلون.

ونقلت إحدى الصحف الأجنبية هذا الموقف، فذكرت: قام أحد رجال الدين ويديه ترتعشان ليقف خلف منصة المجلس وقال: إذا كان المفروض أن نموت، فلماذا نقتل أنفسنا بأيدينا؟!

قال هذا الكلام، وصوت ضد القرار، فتجرأ بقية الأعضاء وصوتوا ضد هذا القرار، فرد المجلس هذه المعاهدة، ولم تجرء بعدها الحكومة الروسية على فعل شيء.

إنّ سلوك السياسيين بهذا الشكل أيضاً، فهم يزجرون الشخص أولاً، ويلاحظون رد فعله؛ فإذا وقف ثابتاً تراجعوا، وإن تراجع هذا المسكين، تقدموا إليه.

وهذا شبيه بسلوك الحيوانات، إذ ينظر الحيوان أولاً إلى الشخص، فإذا وقف رافعاً يده عليه يهرب منه، أما إذا هرب من أمامه يركض خلفه! فهذه خصلة الحيوان، ألا ينبغي لكم أن تعرفوا قدر رجال الدين؟!).

وفي بياناته سنة (١٩٨٠م) في حسينية جماران، قال الإمام:

(كانوا يحتقرون الناس ولا يحسبون لهم أي قيمة، وقد شاهدت هذه الأوضاع عندما كنت طفلاً في مدينة خمين، حيث أحضروا رجلاً متديناً محترماً وكان رئيس التجار في السوق، فربطوا قدميه وبدؤوا بضربه بالعصا أمام الملأ بأمر من حاكم المدينة الفاسد، ومثلاً إذا ذهب أحد العلماء للقائهم، كانوا يجلبون مسكيناً بحضور العالم ويضربونه بالعصا، حتى يفهموا العالم أن عليك الطاعة.

لقد كانت الأوضاع بهذا الشكل في تلك الفترة، وأسوأ من هذا العمل الذي كان يقوم به سفراء الرسول ﷺ، كان عملاً بسيطاً وعظيماً، إذ كانوا يحطمون شخصية ذلك الفرعون أولاً. وكان للمرحوم المدرس هذه الصفة أيضاً. إذ كان يجلس في ساحة البيت على فراش بسيط، وإذا ما أراد تهيئة النارجيلة كان يفعل ذلك بنفسه، فإذا ما دخل عليه في هذه الأثناء الوالي مثلاً - ولعلكم لا تدركون ماذا كان يعنيه الوالي في تلك الفترة؛ لكن المرحوم كان يعطيه النارجيلة ويقول له أنت اسكب الماء فيها، وأنا أشعل النار - أو بالعكس - ولعله كان يتصرف بهذا الشكل لأن مثل هذه العقول الفاسدة تحتاج لمثل هذا التصرف حتى لا يطمعوا بالشخص؛ إذا لو يتعامل معهم الإنسان بالخضوع والتذلل كما كان متعارفاً في تلك الفترة، لطمعوا فيه، وفرضوا عليه القيام بعمل معين، لكن إذا ما تعامل معهم الإنسان بشكل بسيط لكنه قوي وصارم، حينها لا يستطيعون فرض أي عمل عليه.

لقد كان رضاخان يخشي المدرس، لأنه كان إنساناً حقيقياً. وينقلوا أن المرحوم المدرس، قد قال في تلك الفترة: «في مجلسنا مسلم واحد وهو سيد كيخسروا (الزرادشتي)!»، فقد كان رضاخان يرى أن المدرس رقيباً له، ولم يكن يهتم بالآخرين.

فالمدرس كان يزلزل الجميع إذا ما تحدث، وكانت حياته بهذا الشكل أيضاً، فقد سمعتم بذلك، وشاهدت أنا حياته، حيث كان منزله متواضعاً جداً، ومعيشته أقل من المتوسط، ولباسه كان من الحبقاص المصنوع في إيران).

وفي كلامه الذي ألقاه في (نوفل لوشاتو) سنة (١٩٧٨م)، قال الإمام:

(لقد وقعت في تلك الفترة أيضاً مثل هذه الاشتباهات، أن الناس أو من عليهم مسؤولية توعية الناس، لم يدعموا المرحوم مدرس. إذ كان الرجل الوحيد الذي وقف بوجه رضاخان وعارض أعماله المشينة، وكان بعض الأعضاء في المجلس يؤيدون المدرس، لكن البعض الآخر كان يعارض مواقفه بشدة، مع وجود بعض التيارات التي كان يمكن لها أن تدعم مواقف المدرس في تلك الفترة، ولو دعمت مواقفه لكان من الممكن له أن يزيل شر هذه العائلة من جذورها، لما تمتع به المدرس من رجولة ومنطق قوي ومعلومات جيدة وشجاعة كبيرة وغيرها من الصفات).

وفي وصيته التاريخية سنة (١٩٨١م)، تحدث الإمام أيضاً عن وصايا آية الله الشهيد مدرس ومواقفه، فقال:

(... وصيتي للتيارات الإسلامية التي تتمايل اشتباهاً بين الحين والآخر إلى الغرب والشرق.. أن لا يصروا على اشتباهاتهم ويعترفوا بشهامتهم الإسلامية

بخطأهم، ويسيروا في ركب الحكومة والمجلس وهذا الشعب المظلوم ليكسبوا رضا الله، وينقذوا هؤلاء المستضعفين من شر المستكبرين، وعليهم أن يتذكروا كلام المرحوم المدرس رجل الدين الملتزم، حسن السيرة والفكر، عندما قال في ذلك المجلس السقيم: إذا كان علينا أن نموت الآن، فلماذا نقتل أنفسنا بأيدينا).

(وأنا اليوم أيضاً أقول لكم أيها الأخوة المؤمنون في ذكرى هذا الشهيد في سبيل الله، وإذا كان مصيرنا أن نموت على أيدي القوى المجرمة أمريكا وروسيا ونلاقي ربنا بشرف مضرجون بدمائنا الحمراء، فهو أفضل لنا من العيش مرفهين في ظل سلطة الجيش الأحمر في الشرق والأسود في الغرب).

وفي بداية خطابه إلى الشيخ الهاشمي الرفسنجاني بعد محاولة اغتياله الفاشلة، كتب الإمام:

(عندما حاول رضاخان اغتيال المرحوم المدرس، خاطبه المرحوم من المستشفي قائلاً: (أبلغوا رضاخان أني مازلت حياً) ولا زال مدرس حياً حتى الآن، فرجال التاريخ يظلون أحياءاً إلى الأبد).

ومن مجموع ما نقلناه من خطب وكلام الإمام حول آية الله الشهيد مدرس، يتضح جلياً المكانة العظيمة التي كانت له عند الإمام، ومقدار التأثير الذي تركه في شخصية الإمام حتى أصبح قدوة له يحتذي به في مسيرته الجهادية. ومن المناسب أن نعرف أن الإمام رضوان الله عليه قد أمر بعد قيام الجمهورية الإسلامية الإيرانية بإعادة بناء وترميم مرقد الشهيد آية الله المدرس، ليصبح مزاراً للقريب والبعيد. وأشكر الله على توفيقه لي بأن مكنني وعائلتي من

زيارة مرقد هذا الشهيد في (كاشمر)، ونعلن في مرقده رضاخان الذي كان السبب في نفيه واستشهاده.

نفي مراجع وفقهاء النجف إلى إيران:

في سنة ١٣٤١هـ‍ـق، مارس الاحتلال الإنجليزي في العراق ضغوطاً سياسية وعسكرية على الشعب العراقي، وفرض عليهم القبول بحكومة الملك فيصل، مما أثار حفيظة المراجع والعلماء في النجف الأشرف وكربلاء والكاظمين، وقرروا جميعاً كاعتراض على هذه الممارسات، ترك العراق والعودة إلى إيران، وفي الواقع كان ذلك نفياً لهم. وهؤلاء العلماء هم: الآيات العظام، السيد أبو الحسن الأصفهاني، الميرزا محمد حسين النائيني، الشيخ محمد حسين الأصفهاني، الميرزا علي الشهرستاني، السيد عبد الحسين حجت، السيد علي التبريزي، وأخيراً آية الله الشيخ مهدي الخالصي وكان عربياً من قادة الثورة ضد الاحتلال الإنجليزي، وقد أقام جميعهم في قم.

وينقل صديقي العلام والمتتبع الفقيد المرحوم الشيخ محمد الرازي، هذه الحادثة على نحو الإجمال نقلاً عما جاء في كتب ريحانة الأدب، والعلماء المعاصرون، وأحسن الوديعة للكاظميني، فيذكر:

(..ما أن دخلوا كربلاء، حتى أقدمت الحكومة العراقية مرة أخرى وبأمر من أسيادها المستعمرين، على إرعاب الناس وتخويفهم، فأمرت بنفي هؤلاء المراجع العظام سنة (١٣٤١هـ‍ـق). وعندما وصل خبر نفيهم إلى ملك إيران المرحوم أحمد شاه والشعب الإيراني، حزنوا وتأثروا كثيراً من جهة، وفرحوا

جداً من جهة أخرى؛ لأن قدومهم سيزيد إيران الإسلامية عزاً ونوراً، ورحب الجميع بقدومهم من وزراء البلاط والتجار والكسبة ومختلف شرائح المجتمع، وخاصة العلماء ورجال الدين في تلك الفترة، وذهبوا جميعاً لاستقبالهم حتى وصلوا إلى حدود إيران في خسروي. وقصر شيرين، ورافقوهم بحفاوة واحترام كبيرَين على طول مسيرهم بين مدن قصر شيرين وكرمانشاه وهمدان وملاير وآراك حتى وصلوا إلى قم. وقد تم تعطيل جميع مرافق مدينة قم أثناء قدومهم، كما خرج إلى استقبالهم آية الله الحائري وسائر العلماء والطلاب ومختلف شرائح المجتمع إضافة إلى بعض أهالي طهران، حتى أنهم خرجوا لعدة فراسخ خارج قم احتراماً وتقديراً لهم.

وفي يوم آخر حضر أحمد شاه بنفسه لزيارتهم وتقبيل أياديهم مصطحباً بعدد من الوزراء والوكلاء وأعضاء الحكومة، مرحبين بهم وأظهروا كل التقدير والاحترام والانقياد لتوجيهاتهم. وطيلة الثمانية أشهر التي قضوها في قم، كانوا يستقبلون باستمرار العديد من الزائرين القادمين من مختلف مناطق البلاد للترحيب بهم.

وقد أقدم آية الله الحائري على تعطيل مباحثته وتدريسه، احتراماً لهؤلاء العظام، وأوكل إليهم مهمة البحث والدرس في قم، وطبقاً لعادتهم الكريمة بدؤا التدريس والبحث واستمروا على ذلك طيلة فترة بقائهم في قم، فاستفاد من فيوضاتهم العلمية العديد من الفضلاء والعلماء... إلى أن عاد المرحوم آية الله الحاج الشيخ محمد حسين الأصفهاني الغروي بعد عدة أشهر إلى النجف الأشرف، ثم جاء إلى قم مع الحاج الميرزا مهدي الكفائي الابن الأكبر للمرحوم

الآخوند الخراساني والشيخ جوادي علاوي الجواهري وكان من مشاهير شيوخ النجف وأشرافها، وأقنعوهم بالعودة إلى النجف، فعادوا إلى العراق باحترام وتجليل، فاستقبلهم العلماء والناس استقبالاً عظيماً قل نظيره حتى وصلوا إلى النجف الأشرف عاصمة التشيع والحوزة العلمية بتاريخها الطويل الذي استمر لتسعمائة سنة).

في تلك الفترة التي وقعت فيها هذه الحادثة، وطيلة الثمانية أشهر التي قضاها هؤلاء العلماء العظام في قم، كان روح الله الخميني رضوان الله عليه طالباً شاباً في الحادية والعشرين من عمره، وقد شهد عن قرب هذه الأحداث. فكان ذلك من المواضيع المهمة التي تركت تأثيراً مهماً على شخصية هذا الطالب الشاب، وبينت له أكثر، الواقع الصعب الذي يمر به الإسلام والتشيع والعلماء. وقد منحته هذه الحادثة فرصة التعرف على هؤلاء العلماء العظام، خاصة المرحوم آية الله النائيني صاحب كتاب (تنبيه الأمة) الذي طرح فيه آراءه ونظرياته المعاصرة.

ويذكر الإمام هذه الحادثة، بالكلمات التالية:

(لقد أنقذ الميرزا الشيرازي الثاني (الميرزا محمد تقي) العراق من سلطة المستعمرين، إذ أصدرت هذه الشخصية العظيمة وهذا الرجل العظيم ذو المقام الشامخ في العلم والعمل، حكم الجهاد ضد المستعمرين الإنجليز، فأيده العلماء وأطاعهم الناس وجميع العشائر، فجاهدوا وقتلوا وقتلوا، وتحققت جميع هذه المفاخر بفضل مواقف علماء العراق. وقد تم نفي علماء العراق إلى إيران بسبب مخالفتهم ومعارضتهم للأنظمة الحاكمة. حيث تم نفي المرحوم السيد أبو

الحسن، والمرحوم النائيني، والمرحوم الشهرستاني، والمرحوم الخالصي، إلى إيران بسبب مواقفهم المعارضة للنظام الحاكم.... وقد شاهدنا بأنفسنا هذه الحادثة).

آية الله السيد محمد تقي الخوانساري:

بعد الحرب العالمية الأولى تعرض العراق لغزو الاستعمار الإنجليزي، فتصدى لهم العديد من علماء العراق وإيران بقيادة المرحوم آية الله السيد مصطفي الكاشاني والد آية الله السيد أبو القاسم الكاشاني قائد الثورة في العراق، وخرجوا للدفاع عن هذه البلاد، مما اضطر الإنجليز للاستفادة من الطائرات الحربية وتعرضوا للعديد من الهزائم، فأقدموا على مطاردة العلماء المهمين الذين اشتركوا في قتالهم، ونفي الكثير منهم خارج العراق.

ومن بين العلماء الذين تم نفيهم من قبل الاستعمار الإنجليزي، المرحوم آية الله السيد محمد تقي الخوانساري، حيث تم نفيه إلى جزيرة (هنگام) في الخليج الفارسي بالقرب من جزيرة قشم، وبعد قضائه مدة النفي عاد آية الله الخوانساي إلى البلاد وأقام في مدينة قم، وانشغل فيها بالتدريس، كما استفاد أيضاً من درس خارج الفقه والأصول لرئيس الحوزة آنذاك المرحوم آية الله الحاج الشيخ عبد الكريم الحائري.

وقد درس الإمام الخميني رضوان الله عليه قسماً من دروس السطوح على يده، فتعلق به كثيراً لما تمتع به آية الله الخوانساري من سياسة وقدسية وروح خاصة. وبعد وفاة آية الله الحائري سنة (١٩٣٦م)، تولى مع آية الله حجت وآية الله الصدر (وكانوا يعرفون بالآيات الثلاث) مهمة إدارة الحوزة العلمية في قم، حتى قدم إليها آية الله البروجردي سنة (١٩٤٥م).

كان الإمام في معظم الأوقات يصلي الجماعة في المدرسة الفيضية خلف آية الله الخوانساري، وكان يلتزم بأداء صلاة الجمعة خلفه أيضاً لأنه كان الوحيد الذي يقيم هذه الصلاة ويعتقد بوجوبها خلافاً لمعظم المراجع الآخرين؛ لذا كان الإمام مقيداً بحضورها والسير في كل يوم جمعة من منزله الموجود في بداية المدينة إلى مكان إقامة الصلاة وسط المدينة. وقد كان الاحترام والتقدير الذي يكنه الإمام لأستاذه الفقيه المجاهد العظيم الشأن، مثيراً للاهتمام والتأمل!.

يذكر الإمام الخميني رضوان الله عليه الظروف التي مرّ بها آية الله الخوانساري من الجهاد والأسر والنفي، فيقول:

(أما في أحداث العراق، فما الذي كان ليحدث في هذا البلد لولا جهاد علماء العراق الذي راح ضحيته ابن السيد كاظم؟ فقد حمل علماء العراق البنادق على أكتافهم، وخرجوا لجهاد المستعمرين الإنجليز، وتعرض فيها السيد محمد تقي الخوانساري قدس سره للسجن، أي ألقوا القبض عليه مع عدد من العلماء الآخرين فأسروه وأرسلوهم خارج البلاد؛ أي تم نفيه إلى جزيرة (هنگام).

لقد كان يقول: كانوا يعدوننا واحداً بعد الآخر هكذا (واحد، اثنان، ثلاثة) ثم يسلموننا بعدها إلى شخص، كانوا يصفونه، أنه يأكل الإنسان، ويقولون لنا؛ نحن نعدكم حتى لا يجرؤ على أكلكم.

آية الله الحاج حسين القمي:

كان المرحوم آية الله الحاج حسين الطباطبائي القمي أحد المراجع العظام والفقهاء الكبار في مدينة مشهد المقدسة. وكان أبرز المعارضين لمسألة اتحاد الشكل التي طرحها رضاخان كمقدمة لخلع حجاب النساء في إيران، وعندما أرادوا تطبيق هذه السياسة في مشهد المقدسة، سافر آية الله القمي للقاء رضاخان ليستثني عن فكرة خلع حجاب النساء. وقد كان رضاخان خلال زياراته السابقة إلى مشهد، يحرص باستمرار على لقاء آية الله القمي، وهو بذلك على علم كامل بشخصيته القوية وشهامته وشجاعته.

فعندما حضر الشيخ في طهران واستقر في حديقة سراج الملك الكائنة في شهرري بجوار مرقد حضرة عبد العظيم الحسني، سعي رضاخان إلى تجاهل الشيخ ولم يرفض لقاءه فحسب؛ بل أمر بعد عدة أيام بمحاصرة مكان إقامته، ومنع تردد الناس عليه.

وعندما سمع أهالي مشهد بهذا الخبر، انتفضوا جميعاً فوقعت أحداث مسجد گوهرشاد، وراح ضحيتها العديد من الشهداء والجرحي بعد أن أطلقوا النار على المعترضين. بعد هذه الحادثة، أقدموا على نفي آية الله القمي إلى العتبات المقدسة، فافشلوا ثورته وحركته، وقد جرت هذه الحادثة في سنة (١٩٣٥م). إنّ ما جرى في حادثة مسجد گوهرشاد، ونفي آية الله القمي بأمر رضا شاه، كان مراً وصعباً على الجميع ومنهم الإمام الخميني رضوان الله عليه الذي كان موجوداً في طهران في تلك الفترة. وقد ذكر في إحدى بياناته هذه الحادثة، فقال:

(في تلك الفترة حضر المرحوم القمي في طهران، وكنت موجوداً فيها آنذاك. فجاء إلى مرقد حضرة عبد العظيم وذهبت للقائه، بعدها قام بثورته، لكنهم ألقوه في السجن ثم نفوه بعدها).[1]

فتصوروا مدى الألم الذي سببته هذه الحادثة على الإمام روح الله الخميني ذي الثمان والثلاثين سنة باعتباره أحد الفضلاء والمدرسين في حوزة قم العلمية.

آية الله السيد شرف الدين العاملي:

هو آية الله المجاهد والكاتب النابغة المرحوم السيد عبد الحسين شرف الدين العاملي، كان العالم الأول في زمانه في لبنان، وكان فقيهاً متكلماً، عالماً، ومجاهداً لا يكل، ألف العديد من الكتب القيمة خاصة(الفصول المهمة) و(المراجعات) و(النص والاجتهاد) الذي كان آخر كتبه التي ألفها، وقد قمت بترجمته إلى الفارسية، طبع منه حتى الآن سبع مرات تحت عنوان(اجتهاد در مقابل نص)، وكانت جميع هذه الكتب نتاج فكره الجديد والعميق وتعبيراً عن شهامته وشجاعته في الدفاع عن أصول التشيع ومذهب أهل بيت العصمة والطهارة، وكانت رداً قوياً على جميع المتحرصين الذين شوهوا اسم الإسلام المحمدي الأصيل منذ صدر الإسلام وحتى الآن.

إضافة إلى ذلك، فإن آية الله شرف الدين قد استمر في جهاده العلمي حتى آخر لحظات حياته. ففي سنة (١٩٢٠م) وبعد انتهاء الحرب العالمية

---

(١) نقلاً عن صحيفة نور، ج٨، ص ٣١.

الأولى، وقع وطنه (لبنان وسوريا) تحت الاحتلال الفرنسي، مما دفعه للتصدي للجهاد العملي لإنقاذ بلاده من سلطة المحتل، فتعرض في هذا الطريق للكثير من المصائب والصعاب.

وقد ذكرنا سيرة حياته الشخصية في جهاديه العلمي والعملي في مقدمة كتاب (اجتهاد در مقابل نص)، ونكتفي هنا بالإشارة إلى جهاده ضد الاستعمار الفرنسي، ومواقفه البطولية في وطنه، ونوكل تفصيل سيرته إلى تلك المقدمة، وإلى ما جاء من عرض كامل لسيرته الشخصية وأفراد عائلته ودورهم العلمي والديني، في كتاب (بغتة الراغبين) في مجلدين.

عندما احتل الاستعمار الفرنسي سوريا ولبنان، نشر الفساد في البلاد، وعطلّ الأحكام الإسلامية، وأنزل المصائب والويلات على الشعب حتى ضاقوا به ذرعاً، مما دفع السيد إلى رفع راية الجهاد والنضال ضد القوات المحتلة. فبث روح الثورة ضد العدو وفي نفوس الناس خاصة رجال الدين، ونشر الوعي بين أفراد الشعب بضرورة الثورة ضد المستعمرين. فعمل على تشكيل اتحاد ضم رجال الدين وزعماء القوم، وأصدر فيه فتوى الجهاد ضد المستعمرين، فأيدها جميع الحاضرين، مما دفع الفرنسيين إلى إحراق بيته في صور ثم بيته في مدينة (شحور) الذي اختفي فيه لفترة، ودمروا محتويات مكتبته التي كانت تضم العديد من الكتب النفيسة الخطية والمطبوعة، خاصة مؤلفاته الخطية.

كان آية الله شرف الدين ونتيجة لمطاردة الفرنسيين، يغير مكانه باستمرار، فرحل إلى الشام، ثم إلى فلسطين ومنها انتقل إلى مصر، التي تركها سنة (١٣٣٨هـ ق) عائداً إلى فلسطين التي كانت ترزح تحت الاحتلال

الانجليزي آنذاك. فاستمر السيد فيها بالجهاد، حتى توسط له ابن خاله السيد محمد الصدر عند الفرنسيين، إذ كانوا يحترمونه لكونه مطارداً من قبل الإنجليز، فعاد بعدها إلى وطنه. وفي ظل تلك الأجواء والظروف، وعندما كان السيد في أوج شهرته، قصد في سنة (١٣٥٠ هـ ق) زيارة حضرة الإمام الرضا عليه السلام فسافر إلى إيران، ثم زار قم فكان محل تكريم المرحوم آية الله الحائري رئيس الحوزة العلمية ومورد ترحيب العلماء والفضلاء والطلاب. وأوكل آية الله النجفي المرعشي إمامة صلاة الجماعة في صحن السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام، حيث استمر في إقامة صلاة الجماعة طيلة فترة إقامته في قم.

وكان الحاج روح الله الخميني رضوان الله عليه، آنذاك في سن الثلاثين، ويعد من الشخصيات البارزة في الحوزة العلمية، فكان يزوره ويشارك في صلاة الجماعة، فوقع بشدة تحت تأثير شخصية هذا المجاهد العظيم. وعندما وصل خبر وفاة هذا العالم والمجاهد العظيم إلى قم في سنة (١٩٥٧م)، مدح الإمام الخميني رضوان الله عليه شخصيته العلمية والجهادية، وأبّنهُ بكلمات بعد درس خارج الأصول والذي كنت حاضراً فيه آنذاك، لكن هذه الكلمات لم تدون للأسف حتى ننقلها هنا بعينها.

آية الله الحاج الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء:

المرحوم آية الله الحاج الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء هو أحد العلماء المجاهدين والمدافعين عن الدين الإسلامي المبين وعن مذهب التشيع، ويعتبر أيضاً من الفقهاء المعروفين في النجف الأشرف، له مؤلفات قيمة كثيرة.

وقد اشترك آية الله كاشف الغطاء في الكثير من المؤتمرات الداعية لوحدة المسلمين، أو للدفاع عن حقوق الشعب الفلسطيني، وكان من أبرز الشخصيات المدعوة إلى هذه المؤتمرات التي كانت تعقد في مصر وفلسطين وسوريا والأردن، ومن أبرز المتحدثين فيها. كما أشهرت بياناته ومقالاته وكتبه في الدفاع عن الإسلام والتشيع وإحقاق حقوق الشعب الفلسطيني المظلوم والجهاد ضد التسلط المسيحي.

ومن بين مواقفه الشجاعة التي حصلت أثناء وجودي في النجف الأشرف للدراسة، أن هيئة أمريكية دعته مع مجموعة من العلماء المسلمين والمسيح للحضور في مدينة (بحمدون) في لبنان، لمناقشة كيفية الحيلولة دون تزايد المد الشيوعي في المنطقة. فرفض المرحوم كاشف الغطاء حضور هذا المؤتمر، وألف كتاباً للرد على دعوة الأمريكيين تحت عنوان (المثل العليا في الإسلام لا في بحمدون) كتب فيه، أننا نرى تزايد المد الشيوعي في أعينكم حتى في النجف الأشرف، والآن تريدون التصدي له بالمؤتمرات والسينما؟! فكان لهذا الكتاب انتشار واسع جداً في العالم الإسلامي، حيث بيّن لهم الفكر العظيم الذي يحمله هذا العلامة، الذي كانوا يعرفونه سابقاً من مواقفه الجهادية العلمية ومؤلفاته القيمة.

ومن كتب الشيخ الأخرى كتاب (أصل الشيعة وأصولها) الذي طبع لأكثر من ثلاثين طبعة، واشتهر في مختلف بلاد العالم. فقد كان المرحوم كاشف الغطاء كاتباً ومؤلفاً فذاً ذو منطق قوي، وشاعراً قديراً، يتمتع بمعلومات واسعة عن مختلف قضايا العالم خاصة ما يتعلق بالإسلام والتشيع.

وزار إيران عدة مرات، كان أولها في زمان آية الله الحائري، حيث كان فيها مورد تجليل وتكريم من كافة المراجع وفضلاء الحوزة وعامة أهالي قم.

يذكر المرحوم الرازي: (سماحة آية الله في الورى، الحاج الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء، من المراجع المعاصرين في النجف الأشرف وأحد العلماء الأعلام البارزين في علم الكلام والمناظرة، ومن المؤلفين الأفذاذ ممن له تصانيف وكتب كثيرة جداً. زار قم في سنة (١٣٥٠هـق)، وأقام في منزل آية الله الحائري، فكان موضع احترام وتجليل كبيرين، وألقى محاضرات قيمة في الصحن المقدس، ثم عاد بعد فترة إلى النجف الأشرف، وهو على قيد الحياة حتى الآن؛ أي في سنة (١٣٧٣هـق)، وهو يهتم بالتدريس والتأليف والتصدي للمرجعية في النجف).

وفي كتاب (گنجينة دانشمندان) الصفحة ٢٥١، يذكر المؤلف نقلاً عن (العلماء المعاصرين) الصفحة ١٩٦: (بعد عودته من إيران، سافر إلى البيت المقدس بناءاً على دعوة وجهتها له فرق أهل السنة الأربعة لمناقشة اتحاد المذاهب الإسلامية، وقد أقام صلاة الجماعة في المسجد الأقصى حيث اقتدى به المسلمون من جميع الفرق الإسلامية الجعفرية والحنفية والشافعية والمالكية والحنبلية، والقي في يوم الاثنين الرابع من شعبان سنة (١٣٥٠)، خطبة تاريخية في القدس الشريف.. وقد ذكروا تاريخ وفاته خطأ سنة (١٣٨٢) والأصح سنة (١٣٧٣هـق).

إنّ زيارة هذه الشخصية العلمية والجهادية البارزة إلى قم، والتي صادفت في السنة التي زارها السيد آية الله شرف الدين، كان لها تأثيراً كبيراً في

شخصية الحاج روح الله الخميني ﵀ خاصة بعد لقائه هذه الشخصية العظيمة واستفادته من كلامه وخطبه المهمة.

آية الله الكاشاني:

هو المرحوم آية الله السيد أبو القاسم الكاشاني، الفقيه والمجاهد البارز، كان من الشخصيات التي أثرت كثيراً في الإمام الخميني ﵀. شارك آية الله الكاشاني في سن الخامسة والعشرين مع والده آية الله السيد مصطفى الكاشاني في الجهاد ضد الإنجليز، حيث كان والده قائد الثورة في العراق ضد المستعمرين، ومنذ ذلك الحين أصبح المرحوم أحد العلماء والشخصيات الجهادية البارزة في العراق. وبعد فشل الثورة واحتلال العراق من قبل الإنجليز، سعي المستعمرون إلى إلقاء القبض عليه لإعدامه بعيد ذلك، مما اضطره للهروب والدخول إلى قم سراً، فحظي باستقبال العلماء وطلاب الحوزة العلمية، وبعد فترة غادر قم إلى طهران للإقامة فيها.

وبعد احتلال إيران من قبل قوات الحلفاء المتفقين بعد الحرب العالمية الثانية، تم إلقاء القبض على آية الله الكاشاني بتهمة التعاون مع الألمان ضد الحلفاء، وبقي في السجن مدة ٢٨ شهراً قضاها في سجن اراك وكرمانشاه ورشت، وألقي القبض عليه مرة أخرى سنة (١٩٤٥م)، نفي على إثرها مدة ٢٢ شهراً إلى بهجت آباد في قزوين، ثم ألقي القبض عليه أيضاً في سنة (١٩٤٨م) نفي في البداية إلى قلعة فلك الأفلاك في خرم آباد، ثم نفي بعد عدة أيام إلى لبنان.

كان آية الله الكاشاني في المنفي عندما قتل هجير ـ وزير بلاط محمد رضا البهلوي ـ بواسطة منظمة فدائي الإسلام، حيث انتخب بعدها ممثلاً عن طهران في مجلس الشورى الوطني، فعاد إلى الوطن بعد ١٦ شهراً من النفي، فجرى له استقبال منقطع النظير، وقد شارك كاتب هذه المقالة فيه.

وكان لبيانات آية الله الكاشاني وخطبه ومواقفه الإيجابية، دوراً كبيراً في تأميم الصناعة النفطية الإيرانية، وإنهاء سيطرة الشركات الإنجليزية الغاصبة؛ بل لولا وجوده ووجود منظمة فدائي الإسلام لما تم تأميم النفط الإيراني، وإنهاء سيطرة الإنجليز عليه. لكن للأسف الشديد، ورغم كل هذه المواقف الجهادية ضد الاستعمار التي قام بها هذا العالم الجليل، تمكن المستعمرون وعملائهم من الإيقاع بينه وبين الدكتور مصدق رئيس الحكومة والجبهة الوطنية، فعمدوا في الصحف إلى تشويه سمعة هذا القائد والعالم الكبير، وبالتالي تمكنوا من الانتقام منه.

لقد التقي الإمام الخميني ﵁ المجتهد المناضل ضد الاستعمار والمجاهد الثوري الشاب، منذ بداية وصوله إلى قم بآية الله الكاشاني وكان يذهب للقائه في طهران أيضاً فتعرّف عليه من قرب، حتى أن آية الله الكاشاني حضر مراسم عقد الإمام الخميني ﵁ في طهران، وبعد كلامه مع والد زوجة الإمام المرحوم آية الله الميرزا محمد الثقفي، يقول له: (أين وجدت هذه الأعجوبة!). ونظراً لكون منزل آية الله الثقفي يقع في منطقة بامنار في طهران قريباً من منزل آية الله الكاشاني، كان الإمام ﵀ يزوره كلما جاء إلى طهران، فتعمقت العلاقة وتبادل الزيارات بينهما.

وفي سنة (١٩٦١م) عندما كان الإمام الخميني رحمه الله فقيهاً معروفاً ومن المدرسين الأكفاء في حوزة قم، كتب إلى آية الله الكاشاني رسالة يسأل فيها عن صحته بعد مرضه وإصابته بوعكة صحية، فقال فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

أود أن أبلغ حضرتكم؛ إني أسأل الله دائماً أن يمن عليكم بالسلامة، ويرفع عنكم هذه الوعكة الصحية، ألتمس دعاء وجودكم المحترم، وإني استفسر عن صحتكم من الأشخاص الذين يزوروننا. وأنا أيضاً منذ عودتي من طهران، تعرضت لحمى مالطا وغيرها عدة مرات، ومازلت أشعر بوعكة صحية، فالتمس دعاءكم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

روح الله الموسوي

عُرف المرحوم آية الله الكاشاني بصراحته وطبعه المرح، حتى أنه كان أحياناً يسخر من المسؤولين في الحكومة؛ بل كان يتكلم بهذه الصراحة مع مؤيديه أيضاً ويخاطبهم بالجهلة. وفي إحدى خطبه سنة (١٩٨٠م) في حسينية جماران، قال الإمام الخميني رضوان الله عليه:

(... لقد قاموا بقضية كشف الحجاب بكل تلك الفظاعة والشناعة. الله وحده يعلم الجريمة التي ارتكبوها في كشف الحجاب، حتى أنهم كانوا يطلبون من بعض العلماء العظام إقامة المجالس واصطحاب نسائهم معهم، لأن ذلك حسب قولهم: أمر.

ونقلوا أن أحدهم ذهب إلى المرحوم الكاشاني فقال له: لقد قالوا أن عليكم الاشتراك في ذلك المجلس المختلط، فأجابه المرحوم الكاشاني بشتم من قال ذلك!

فقال ذلك الشخص. إن الأمر من المقامات العليا، فرد عليه: وأنا أشتم هذه المقامات العليا).

وفي سنة (١٩٨٠م) أيضاً، أشاد الإمام الخميني رضوان الله عليه بآية الله الكاشاني ضمن كلامه الذي ألقاه في حسينية جماران، فقال: (نقل لي المرحوم روح الله خرم آبادي[1]، أنه قال:

عندما تم نفي المرحوم الكاشاني قدس سره إلى خرم آباد، وسجن في قلعة فلك الأفلاك، رجوت قائد الجيش (قائد فيلق خرم آباد) أن يسمح لي برؤية المرحوم الكاشاني، فوافق على ذلك واصطحبني لرؤيته، فكنا ثلاثة قائد الجيش وأنا والمرحوم الكاشاني. فبدأ هذا القائد بالحديث، ووجه كلامه إلى المرحوم الكاشاني، فقال له ما يقارب هذا المعنى: لماذا يا شيخ أوقعت أنفسك بهذا المأزق؟ لماذا تتدخل في السياسة؟ السياسة لا تليق بكم، فلماذا تتدخلون فيها؟ وهكذا تكلم بما يشبه هذا الكلام، فأجابه المرحوم الكاشاني: أنت حمار جداً!

وأنتم لا تتصورون أن هذه الجملة كانت تعادل القتل في تلك الفترة؛ أي إذا لم أتدخل في السياسة، فمن يتدخل فيها؟ وسأذكر لكم قصة أخرى أيضاً:

---

(١) الصديق الحميم للإمام في قم، الذي كان يدرس الفلسفة في قم، بموازاة درس الإمام في الفلسفة، ثم انتقل بعدها إلى مدينته خرم آباد وأدار فيها حوزة علمية، وكان يطلق عليه في حوزة قم (الحاج روح الله).

عندما كنا في السجن، حضر رئيس جهاز الأمن آنذاك ـ اللواء باكروان المدير العام لجهاز السافاك الذي أعدم بقرار من محكمة الثورة ـ فأخذونا إليه، فتحدث إلينا بكلام، من ضمنه:

السياسة هي الكذب، وهي الخديعة، والاحتيال، واللعنة على الوالدين، فاتركوها لنا، فأجبته: هذه السياسة لكم! فلاحظوا كيف كان الإمام يأنس بالمرحوم آية الله الكاشاني، بحيث يتذكر هذه الحادثة الطريفة، وينقلها بشكل آخر.

لقد تأذى الإمام وحزن كثيراً على ما آلت إليه أوضاع آية الله الكاشاني، بعد كل هذا الجهاد والمصائب التي تعرض إليها. وقد كنا في حوزة قم نلاحظ تأثير ذلك عليه بوضوح.

وفي سنة (١٩٨٣م)، وضمن كلامه حول دور العلماء في قيام الحركة الدستورية، والذي ألقاه أمام أعضاء المؤسسات المرتبطة بمكتب رئيس الوزراء في حسينية جماران؛ تحدث الإمام عن الدور الكبير لآية الله الشيخ فضل الله النوري، وما آلت إليه أوضاعه فيما بعد، فقال:

(اليوم، اغتنم هذه الفرصة لأتحدث للسادة عن موضوع، يهم الجميع، المسؤولين في الحكومة وعموم الشعب أيضاً).

وأريد الآن أن أتحدث عن موضوع استفدناه من التجارب التي نقلت إلينا، أو تلك التي شاهدناه بأنفسنا. فما حدث في فترة الحركة الدستورية والتي يعلم بأحداثها الجميع، كان البعض يرفض حكومة الإسلام في البلاد، ويسعى

إلى جر البلاد نحو المعسكر الأوروبي. فكانوا يثيرون الفوضى والإشاعات، بحيث تمكنوا من إعدام شخصية بارزة مثل المرحوم الشيخ فضل الله النوري وضربوه على قدميه أمام الملأ. فكانت هذه أحدى مؤامراتهم لعزل الإسلام، وتمكنوا من تنفيذ مبتغاهم بحيث أفشلوا الحركة الدستورية (كما أراد علماء النجف)، حتى أنهم قاموا بتحريف قضية المرحوم الشيخ فضل الله، وأثاروا الناس ضده في إيران وبقية البلدان، مما أدى إلى إعدام الشيخ فضل الله النوري شنقاً بيد بعض رجال الدين الذين وقفوا حوله يصفقون، فاستطاعوا في تلك اللحظة من هزيمة الإسلام، والناس في غفلة من أمرهم، حتى العلماء ممن كانوا موجودين في تلك الحادثة، كانوا في غفلة من أمرهم.[1]

وبعد ذلك، يتحدث الإمام عما آل إليه مصير آية الله الكاشاني بعد كل هذا الجهاد الطويل، فقال: (لقد التقيت عن قرب بالسيد الكاشاني في تلك الفترة، وعرفته رجل دين مجاهد منذ كان شاباً في النجف، حيث كان يجاهد في ذلك الوقت ضد الاستعمار الإنجليزي، وعندما قدم إلى إيران قضي معظم حياته على هذا الطريق أيضاً.

وقد عرفته عن قرب، حيث كان وضعه مهماً جداً بحيث إذا ما أراد الذهاب إلى مكان معين، افترضوا أراد الذهاب إلى مسجد الشاه مثلاً؛ كان المسجد يعلن عن قدومه. كان هذا وضعه في البداية، فأدرك الأعداء أن وجود رجل دين بارز في الساحة سيؤدي حتماً إلى حكومة الإسلام، وهذا ما حصل

(١) الشيخ إبراهيم الزنجاني والمسؤول عن الشكاوى في دار العدالة، والمؤرخ المعروف.

فعلاً. لذلك بدؤا بإثارة الأجواء والمشاعر ضده، إلى درجة أنهم ألبسوا كلباً عوينات أطلقوا عليه أسم آية الله وأخذوا يدورون به في أطراف المجلس.

كنت موجوداً آنذاك عندما دخل المرحوم الكاشاني إلى مجلس عزاء، فلم ينهض له أحد، إلاّ أنا وأحد علماء طهران الموجودين حتى الآن[1]، ففسحت له مكاناً للجلوس).

فتعاملوا مع المرحوم الكاشاني بهذا الشكل حتى أجبروه على عدم الخروج من منزله، وبالتالي تمكنوا من هزيمة الإسلام بهذا العمل.

ولهذا حذر الإمام من مؤامرات الاستعمار وعملائه ضد الجمهورية الإسلامية التي بدأت منذ ذلك الوقت أي منذ سنة (١٩٨٣م)، فأوصي بضرورة أن يتعظ المسؤولين والشعب ويحذروا جيداً من هذه المؤامرات:

أريد الآن أن أحذر السادة المسؤولين، مما يجري حولهم هذه الأيام من إثارة الأعداء للفوضي، وسعيهم تدريجياً لتنفيذ مؤامراتهم التي تهدف إلى إبعاد الناس عن الإسلام.. وإذا ما نجحوا هذه المرة في السيطرة على الأوضاع فلن يبقوا لنا شيئاً أبداً. فقد أدركوا أن تقدم الجمهورية الإسلامية سيضر بمصالحهم ويمنعهم من تحقيق مآربهم. واعلموا أن الإسلام إذا ما تعرض الآن إلى صفعة قوية، فلن يتمكن بعدها من العودة إلى السلطة أبداً..).

---

(١) الظاهر أن المرحوم السيد محمد صادق اللواساني كان صديقاً قديماً للإمام.

الحركات الثورية للعلماء الآخرين:

إضافة إلى ما ذكرناه، فإن الإمام قد شاهد كيف حاكموا آية الله الميرزا محمد آقازاده، الابن الأكبر لآية الله الآخوند الخراساني في طهران بعد أحداث مسجد (گوهرشاد)، وكيف خلعوا منه لباسه الديني، حتى سقط من الأنظار بحيث كان يجلس في زاوية الشارع دون أن يهتم لأمره أحد.

كما شاهد الإمام ما جرى لآية الله الميرزا صادق آقا التبريزي وآية الله السيد أبو الحسن الأبطحي من علماء آذربايجان، وكيف تم نفيهم أولاً إلى كردستان ثم إلى قم، بسبب مقاومتهم ورفضهم للضغوط التي كان يمارسها رضاخان. حيث بقي بعدها آية الله الميرزا صادق آقا في قم، حتى توفي فيها. وقد ألتقي الإمام بهذين العالمين في قم أثناء مدة نفيهم، وتحدث معهم عن قرب حول أسباب حركتهم ونفيهم إلى قم.

وضمن كلامه الذي ألقاه في النجف الأشرف سنة (١٩٧٧م)، والذي نقلنا قسماً منه سابقاً، تحدث الإمام عن الحركات الثورية التي قام بها العلماء الآخرون، فقال:

(النهضة الأخرى، هي نهضة علماء خراسان وحادثة مسجد گوهرشاد، حيث ألقوا القبض على المرحوم آقازاده والمرحوم آقاسيد يونس الأردبيلي وسائر العلماء الآخرين في تلك الفترة. وسجنوهم في سجن طهران، وقد شاهدت بنفسي المرحوم الميرزا أحمد آقازاده قدس سره جالساً بدون عمامة، رغم أنه كان تحت المراقبة ولا يحق لأحد التقرب منه، حتى أنهم كانوا ينقلونه بدون عمامة في الشارع عند إرساله إلى المحكمة لمحاكمته.

ولم يكـن في ذلـك الوقـت وجـود للأحـزاب حـتى يقومـوا بمثـل هـذه الاعتراضات، فقد حدثت جميع الثورات الـتي قـام بهـا العلمـاء بـدون وجـود الأحزاب، وحتى البعض القليل منها كان عديم التأثير.

النهضة الأخرى حـدثت في آذربايجـان، حيـث انـتفض المرحـوم المـيرزا صادق آقا والمرحوم أنگجي، فالقي القبض عليهما، وبعدها لم يتمكن المرحـوم الميرزا العودة بحرية إلى آذربايجان، رغم الاحترام والتقدير الـذي كـان يكنـه له أهل آذربايجان، فبقي في قم حـتى آخـر لحظـات حياتـه، وقـد تمكنـت مـن زيارته فيها).

كما شاهد الإمام أستاذه الكبير آية الله الحائري ـ مؤسس الحوزة العلمية في قم ـ ورغم سلوكه المحتاط في التعامـل مـع رضـاخان، قـد اضـطر بـسبب إصرار الكثير من علماء الحوزة لإرسال برقية إلى رضاخان بأن يـستثني عـن قرار إتحاد الشكل، وشاهد كيف أن هذا الطاغية الذي كان سابقاً يظهر التذلل والخضوع لآية الله الحائري ويتظاهر بتقليـده، يـرد بجفـاء وتكـبر علـى هـذه البرقية، ويلقي القبض على الحـاج المـيرزا (خليـل كمـره اى) ـــ أحـد رفقـاء الدراسة مع الإمام ـ لكونه نقل إليه البرقية، وسجنوه في طهران.

نعم، إنّ الإمام كان يتذكر كيف كان يخـرج مـع رفقائـه في الدراسـة إلى البساتين خارج قم للدرس والمباحثـة فيهـا، لتجنـب التعـرض لأذى الـشرطة ورجال الأمن.

ورأى الإمام الكثير الكثير من هذا القبيل..

وهذا الشعر الرباعي للإمام، يصور تلك المرحلة المظلمة والسوداء من تاريخ حياته!

از جور رضاشاه كجا داد كنيم زين ديو، بركه ناله بنياد كنيم

آن دم كه نفس بود، ره ناله اكنون نفسي نيست كه فرياد كنيم*

الهدف من المقالة:

إنّ الكاتب كان يهدف من كتابته، هذه المقالة بهذا التفصيل، أن تكون قاعدة يستفيد منها الباحثون والمحققون حول تكوين وتركيب شخصية الإمام الخميني الثورية.[1]

لقد شاهد الإمام منذ مرحلة شبابه وسنين حياته الأولى، جميع هذه الأحداث المؤلمة، وكان يحللها بدقة كأنه كان يعد نفسه لاغتنام الفرصة المناسبة حتى يثأر لجميع العلماء والمراجع الذين تعرضوا لكل هذه الآلام والمصائب من قبل عائلة البهلوي وعملائهم، ويلقن أسيادهم درساً لن ينسوه أبداً، حتى يظل منهجاً يسير عليه كافة الثوريين في العالم.

ومن اللطيف أن الكاتب يتذكر جيداً، بداية قدومه إلى قم، أي في سنوات تأميم الصناعة النفطية، حيث كانت جميع أنظار العالم تتجه نحو إيران،

---

* المعنى: أين نصرخ من جور رضاشاه حتى ننفس عن آلمنا من هذا الطاغية، فقد حرمنا حتى من النفس الذي كان يخفف عنا شدة الألم والعذاب. (المترجم).

(١) وقد ذكر ولدي محمد حسين الرجبي (الدواني) إجمالاً عن هذا الموضوع وبحثه باختصار في كتابه (زندكيانمه سياسى امام خمينى قدس سره).

ونحو الشخصية الدينية البارزة لآية الله الكاشاني، وجهاده الشديد ضد الاستعمار. لكن الإمام كان يحضر يومياً قبل الغروب بقليل، إلى مقبرة آية الله الشهيد الحاج الشيخ فضل الله النوري ـ الواقعة في الصحن الكبير للسيدة المعصومة عليها السلام ـ ويجتمع فيها مع بعض رفاقه لمدة ربع ساعة تقريباً، يتحدثون فيها عن الأوضاع والحوادث اليومية، ثم يؤدون صلاتهم هناك، وبعد ساعة يتفرقون جميعاً. ولم ير أحد الإمام يجلس أو يصلي في مكان آخر غير مرقد الحاج الشيخ فضل الله، فإذا لم يكن هذا الأمر صدفة، يمكن أن يدل بوضوح أن قائد المستقبل للثورة الإسلامية كان يتذكر دائماً قادة النهضات الدينية والعلمائية، بحيث أصبح فيما بعد خلفاً صالحاً ولائقاً لهم، وتمكن بثورته الإسلامية بأخذ الثأر لهم من الاستعمار وعملائهم.

وإذا ما دقق القراء في خطب الإمام ولقاءاته الشفوية وبياناته السياسية وقراراته الحكومية سواء في الداخل أو الخارج، للاحظوا جيداً أن الإمام قد أشار إلى جميع المصائب والويلات التي تعرض لها العلماء الذين سبقوه في النهضة ضد الظلم والطغاة، ولم يهمل حتى الصغيرة منها. وبهذا الشكل، تمثل هذه الخلاصة الهدف الذي كان يبتغيه الكاتب من هذه المقالة، على أمل أن تنال رضا القراء.

لقد وضعت دمي وروحي الرخيصة على الأكف في انتظار الفوز بالشهادة العظيمة في سبيل الواجب والحق وأداء فريضة الذود عن حياض المسلمين. ولتكن القدرات والقوى الكبرى وعملاؤها على ثقة بأن الخميني سيواصل طريق الجهاد ضد الكفر والظلم والشرك وعبادة الأصنام حتى لو ظل وحيداً، وسيسلب بعون الله تعالى وبمؤازرة متطوعي العالم الإسلامي والحفاة الرازحين تحت نير الغصب الدكتاتوري، النوم من أجفان السلطويين والعملاء الذين يتمادون في ممارسة الظلم والاضطهاد»[1].

---

(١) بيان الحج للإمام الخميني قدس سره عام ١٤٠٧ هـ

ذكريات

الإمام الخميني لرئيس وزراء الشاه: (لا يمكن لطلاب الحوزة أن يتعاونوا مع حكومة عملية).

في ٢٧ اردبيهشت ١٣٤٠ عينت أمريكا علي أميني رئيساً لوزراء إيران، حاول أميني من خلال انتقاده للوزارات السابقة وبعض الخطوات الخادعة أن يكون له دور وسط العلماء والحوزويين فسافر في الأول من دي عام ١٣٤٠ إلى قم والتقي المراجع ومن ضمنهم الإمام رضوان الله عليه.

عندما قدم أميني داخل البيت لم يقم له الإمام وعندما أراد الجلوس في المجلس العام تحرك الإمام قليلاً في حين كان الإمام واحتراماً للطلاب يتحرك بشكل أكبر على هيئة من يريد الوقوف.

هذا اللقاء كتبه أحد الحاضرين في الجلسة بهذه الكيفية في حدود الساعة الحادية عشر والنصف جاء إلى بيت الإمام رئيس الوزراء مع بعض مساعديه وكان من بين الحاضرين أخُ الإمام آية الله بسنديده ومجموعة من طلاب العلم وبعد تناول الشاي تحدث الإمام مخاطباً رئيس الوزراء:

(لقد أودع الله تعالى في كل إنسان استعداداً خاصاً ويستطيع الإنسان تنمية هذا الاستعداد والارتقاء به إذا استفاد منه بشكل صحيح. وكل ما ازداد الإنسان رقياً ازدادت مسؤوليته وواجباته أمام الله تعالى والناس...

على سبيل المثال أنت اليوم رئيس الوزراء فمسؤوليتك ليست كالأشخاص العاديين بل هي أكبر وأعظم...

عليك أنت بهذه المسؤولية أن تعمل بشكل ينفع الناس حتى لا تصبح مقصراً أمام الله وأمام وجدانك وضميرك.

لقد تعاقب على مسؤولية هذا البلد الكثير ورحلوا فبعضهم ترك ذكراً جميلاً والبعض الآخر خلف ذكراً سيئاً. بعضهم أصبح الناس يترحمون عليه وبعضهم يلعنه الناس فاسعي أن تكون من الصنف الذي يترحم الناس عليه.

في الحوزة العلمية بقم خمسة أو ستة الآلاف طالب. هؤلاء تحملوا مصاعب الدنيا وهم الآن يدرسون بشوق. هؤلاء بذلوا شبابهم ونشاطهم في طريق تحصيل العلم وعاشوا بأقل مستوى من المعيشة من دون أن يأخذوا من ميزانية الدولة شيئاً وليس لهم طمعاً في مساعدة ومعونة من النظام. إنهم يضعون نتيجة ما يحصلون عليه من علوم وتحقيقات في خدمة الناس مجاناً ويدعون الناس إلى الخير والصواب فيحيون فيهم الوازع الباطني ويحافظون عليه وينصحونهم بالابتعاد عن الخيانة والاعتداء والخداع والكذب.

من المسلم أن خدمات هؤلاء أفضل من كل إدارات الشرطة والأمن الطويلة العريضة والتي لها ميزانية خاصة من خزانة الدولة. فما عليكم سوى أن لا تضعوا العراقيل أمام هؤلاء الطلاب.

فرد رئيس الوزراء:

يا آية الله: أنتم على علم بالانحطاط الأخلاقي للناس وتهاوي الأسس الدينية والمشكلات الناجمة عن ذلك.. والسد القوي الذي يمكن الاعتماد عليه في وجه ذلك هم العلماء الذين لا يمكن إنكار خدماتهم الجليلة.

إلا أننا نتوقع منهم أكثر من ذلك. فعليهم أن يتعاونوا مع الحكومة ووزارة التعليم في البلد حتى يتم الوقوف أمام المفاسد.

فرد عليه الإمام قائلاً: إنّ لدى العلماء أيضاً مطالب وتوقعات من الحكومة وهي ستكون في مصلحة الحكومة والناس وقد كتبت تلك الأمور إلى آية الله البروجردي قدس سره من أجل أن يطالب النظام بتحقيقها إلا أن الدولة هي التي تأخذ بنصائح العلماء..

أنا لا أعلم ما هي العلاقة بين جامعات البلد وعدم تدين الشباب حيث أن أكثر الشباب الذين يتخرجون من معاهد البلد يبتعدون عن أصول الدين ولا يبدون التزاماً بالأحكام الشرعية؟

أميني: نحن ملتفتون إلى هذا الأمر ونعمل على سد هذا الفراغ لعلمنا أن البلد لا يستقيم من دون الديانة والفضيلة حيث أن عمود البلد هو الثقافة الإسلامية..

أنتم تعلمون أنه وقبل تطبيق النظام التعليمي الحديث بالبلد وافتتاح جامعة طهران عام ١٣١٣هـ.ش، لم يكن متعلماً سوى طلاب الحوزة وكانت ثقافة الناس بيدهم إلا أنه ومع دخول التمدن الغربي إلى النظام التعليمي ابتعد العلماء عن هذا الدور مع أنه كان بإمكانهم الإمساك بهذا النظام وحفظه من المفاسد. والآن وبعد مضي نصف قرن أصبحوا يصيحون وا إسلاماه..

إنني اعترف بوجود أساتذة في الجامعات من المسيحيين واليهود والزرادشت بل حتى من البهائيين ولكن ما العمل فعندما يكون باب الجامعة مفتوحاً ولا يتصدى العلماء لسد الفراغ فيملأ بالأشخاص غير الصالحين.

الإمام الخميني: لقد أشرت في كلامك إلى الثقافة الأجنبية وتأسيس الجامعة وألقيت التقصير على عاتق العلماء وبمنظاركم هذا يكون هدف العلماء أن يصبح الناس غير متدينين. برؤيتكم هذه إن العلماء يريدون أن يقع الناس في المفاسد الأخلاقية؟

إنك تتذكر بيد من كانت الحكومة في تلك البرهة من الزمن؟ ومن الذي كان يدير الأمور؟

أنا أعلم أنك لن تجيبني بشكل صريح إلا أني سأوضح الأمور حتى أرفع هذه التهمة.

لقد كانت الحكومة في تلك الفترة بيد رضاخان (والد الملك الحالي) فهل تعلم بأن بريطانيا هي التي أتت به إلى الحكم وقد كان عميلاً لهم ينفذ مآرب الأجانب؟

فهل تريد من العلماء التعاون مع حكومة عميلة للأجانب؟

إنّ العلماء لا يمكن لهم التعاون مع حكومة عميلة للأجنبي. العلماء هم الذين ينهون الناس عن إعانة الظلمة فهل تريدهم يصبحون أعواناً للظلمة ويساعدون على الظلم؟

لا يمكن ذلك. وليس من حق العلماء أن يقوموا بهذا وليسوا حاضرين بأي ثمن للتفاهم والتعاون مع عملاء الأجانب.

إنهم ينتظرون حكومة صالحة يتعاونون معها ولمّا لم يجدوا ذلك لجأوا إلى الانزواء في المدارس والمساجد حتى تحين الفرصة لأداء واجباتهم الشرعية.

إن ما تفضلت به صحيحاً فقبل خمسين عاماً كان أكثر المتعلمين هم طلاب الحوزة. ولكن كيف يستطيع هؤلاء أن يتعاونوا مع حكومة عميلة فيخالفون ما تعلموه؟؟

لم تكن حكومة إيران مستقلة وعليه فلا يستطيع العلماء مساعدتها والتعاون معها حتى لا يعطوا أعمال حكومة عميلة صفة الصحة.

لقد دام اللقاء ثلاثة أرباع الساعة وفي النهاية وعندما أراد رئيس الوزراء مغادرة منزل الإمام والتوجه لتناول الغذاء قال له الإمام: (تغدى معنا اليوم واكتف بما يتناوله طلاب الحوزة).

إلا أن أميني أصر على المغادرة فخاطبه أحد الحاضرين: إنَّ مقصود آية الله أن تتعرف على موائد العلماء حتى تعلم ما الذي يأكله طلاب الحوزات.

«عندما اعتقل أحد أبناء أحد العلماء الكبار وقادة الثورة من قبل أجهزة الأمن في الجمهورية الإسلامية زار ذلك العالم الإمام قدس سره مبديا انزعاجه من هذه الخطوة. فخاطبه الإمام (ابنكم شخص منحرف ومرتبط بالتنظيمات اليسارية المنحرفة وعليك أن لا تنزعج لاعتقاله) ثم أضاف والله لو صدر من أحمد أي انحراف صغير وكان حكمه الإعدام فإني سأنفذه بنفسي»[1].

(١) حجة الإسلام اشتياني.

فهرس الكتاب



- رسم الإمام الراحل ابان فترة النهضة الإسلامية وبعد انتصار الثورة الإسلامية بكتاباته وكلماته الخطوط والحدود العامة لنظام الجمهورية الإسلامية في إيران، والقضية الأهم هي مراعاة هذه الحدود والحفاظ على حرمة هوية الثورة الإسلامية.

- حاول الإمام الجليل خلال شتى مراحل الثورة الإسلامية الحفاظ على حدود هوية الثورة الإسلامية والحؤول دون اعوجاجات وانحراف واندساس العناصر الطارئة ، ويعد هذا المنهج درسا كبيراً لنا .

من أجل الحفاظ على حريم هوية الثورة الإسلامية منع الإمام استخدام حتى بعض المفردات المستعارة كالجمهورية الديمقراطية ، وشدّد على الإبداع و نحت المفردات ضمن إطار الرؤية الدينية والعقيدية للثورة.

- إن الثورة الإسلامية بقيادة الإمام الخميني كانت مشروعاً إبداعياً وكان هذا الإبداع مشهوداً دوما في حركة الإمام الجليل وأساليبه ومنها استخدام تعبير الجمهورية الإسلامية بدل الجمهورية الديمقراطية، واستخدام كلمة الولاية بدل الحكومة والسلطنة، و ذلك من أجل تشخيص حدو د نظام الجمهورية الإسلامية.

النقطة الجديرة بالاهتمام والنظر في هذه المراسم مشاركة غالبية الشباب الذين لم يدركوا عهد الإمام (رض) لكنهم يعشقونه ، وفي هذا دليل على الجاذبية اللامتناهية للإمام الخميني والتي لا تزال تشد إليه القلوب.

الإمام الخامنئي (دام ظله)
١٥ـ جمادي الأولى ـ ١٤٢٩هـ


دار الولاية للثقافة والإعلام
الجمهورية الاسلامية الايرانية . قم المقدسة.
صندوق بريد : ١ ٦ ٦ ٥ ٨ ١ ٧ ٣
هاتف وفاكس : ٩٨ ٢٥١ ٧٧٣٨٣٧١
www.alwelayah.net
alwelayah@alwelayah.net
هدية دار الولاية للثقافة والإعلام